

المرويات عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
في: (التسهيل)
لابن جُزَيِّ الكلبي

و.أحمد الخياطي

الباحث في سطور

الدكتور أحمد خياطي Ahmed_elkhayatti@hotmail.com

- ✽ من مواليد 1937 م بقبيلة بني جميل إقليم الحسيمة.
- ✽ أستاذ التعليم العالي بكلية أصول الدين جامعة القرويين.
- ✽ رئيس فرع الرابطة المحمدية للعلماء بطنجة.
- ✽ حاصل على دكتوراه الدولة من دار الحديث الحسنية بالرباط سنة 1997 م،
موضوع الأطروحة: شواهد التفسير عند ابن عباس في (مسائل ابن الأزرق).

من أعماله المنشورة:

- ✽ فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، لأبي عبيد القاسم بن سلام. دراسة وتحقيق.

مرجّل

عائشة أم المؤمنين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،⁽¹⁾ هي بنت أبي بكر الصديق، صاحب رسول الله، ﷺ، بنص القرآن الكريم: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾⁽²⁾، وخليفته من بعده، وهي زوج رسول الله، ﷺ، المبرأة بوحى الله، في قرآنه العظيم، بعد أن امتحنت بحادثة الإفك، فواجهتها بالصبر الجميل.

ولدت، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بمكة في السنة الثامنة، أو نحوها قبل الهجرة، وتوفيت بالمدينة، سنة: 57 هجرية، وقيل سنة: 58 عن خمس وستين سنة.

وقد أجمعت كتب السير والتراجم، على أنها: الفقيهة المحدثّة، القارئة، المفسّرة، الأدبية، الفصيحة، الطيبة، الجامعة لكثير من أصناف العلم والمعرفة، الناقدة

(1) بعض كتب ترجمتها، مرتبة تاريخياً، منها: طبقات ابن سعد: 8 / 58، تاريخ خليفة بن خياط: 170، طبقات خليفة بن خياط: 333، تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار؛ لابن حبان البُستي: 201، المستدرك؛ للحاكم: 4 / 4، الحلية؛ لأبي نعيم: 2 / 43، أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين؛ لابن حزم: 40، أسماء الصحابة الرواة، وما لكل واحد من العدد؛ لابن حزم: 39. الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ لابن عبد البر؛ بهامش الإصابة: 4 / 356، صفة الصفوة؛ لابن الجوزي: 2 / 15-38، أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ لابن الأثير: 6 / 188، تهذيب الأسماء واللغات؛ للنووي: ج: 2 من القسم: 1 / 351، وفيات الأعيان؛ لابن خلكان: 3 / 16-19، تذكرة الحفاظ؛ للذهبي: 1 / 27، سير أعلام النبلاء؛ للذهبي: 2 / 135-201، طبقات علماء الحديث؛ لابن عبد الهادي: 1 / 87، مرآة الجنان...؛ لليافعي: 1 / 159، البداية والنهاية؛ لابن كثير: 8 / 91، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة؛ للزركشي، الإصابة في تمييز الصحابة؛ لابن حجر: 4 / 359، تهذيب التهذيب؛ لابن حجر: 12 / 433-436. طبقات الحفاظ؛ للسيوطي: ص: 8. ذكرها في الطبقة الأولى من الصحابة، شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ لابن العماد الحنبلي: 1 / 61. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي؛ لمحمد الحنجوي، الثعالبي: ج: 1 / القسم: 2 / 246. الأعلام؛ للزركلي: 4 / 5، أعلام النساء؛ لكحالة: 3 / 9-130.

لأصحاب الحديث، والفقه، والأدب، وغير ذلك، بالحس المرهف، والعلم الغزير، والذوق السليم. ويكفيها شرفاً وفخراً أنها أفقه نساء الأمة، وأعلمهن، على الإطلاق، كما يقول الحافظ الذهبي⁽¹⁾.

ونتيجة لذلك، كانت عاتشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كثيرة المرويات، كثيرة الرواة عنها.

المبحث الأول: (المرويات عن عاتشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إجمالاً).

«المرويات» - بآل الاستغراق والشمول - عن عاتشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كثيرة، متنوعة، وقد تولى هذا البحث بعض تفاصيلها، بناء على محتوى الشهادات التي أجمعت على المكانة العلمية الرفيعة التي كانت تتمتع بها أم المؤمنين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبناءً أيضاً على إسهاماتها القولية، والفعلية... الرائدة في تشييد صرح الثقافة الإسلامية بكل عمقها، وتنوعاتها.

قال عروة بن الزبير - وهو ابن أختها، المطلع على عمق وشمولية ثقافتها -: «لم يكن أحد أعلم بقضاء، ولا فرائض، ولا بأيام الجاهلية، ولا بطب، ولا شعر من عاتشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»⁽²⁾.

وروى هشام بن عروة عن أبيه، قال: «رُبما روت عاتشة القصيدة؛ ستين بيتاً، والهاثة بيت»⁽³⁾.

ومن خصائصها: أنها أعلم نساء النبي، ﷺ، بل هي أعلم النساء على الإطلاق. قال الزهري: لو جمع علم عاتشة، إلى علم جميع أزواجه، وعلم جميع النساء، لكان علم عاتشة أفضل»⁽⁴⁾.

ويقول عطاء بن أبي رباح في شهادته: «كانت عاتشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة»⁽⁵⁾.

(1) تذكرة الحفاظ: 1 / 27.

(2) البداية والنهاية: 8 / 92.

(3) طبقات ابن سعد: 8 / 73، سير النبلاء: 2 / 189.

(4) البداية والنهاية: 8 / 92، الصفوة: 2 / 33، وسير النبلاء: 2 / 185.

(5) البداية والنهاية: 8 / 92.

وقال أبو موسى الأشعري: «ما أشكل علينا أصحاب محمد حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً»⁽¹⁾.

وقال مسروق بن الأجدع، وهو تابعي، من أكابر أصحاب عبدالله بن مسعود: رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر، يسألونها عن الفرائض»⁽²⁾.

وقال عروة أيضاً: «ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال، ولا بحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بالنسب من عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»⁽³⁾.

وعن معرفة عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بالطب، وكيف تمكنت من المهارة فيه نظرياً، وعملياً، يسألها عروة قائلاً: «يا أمتاه، لا أعجب من فقهك، أقول: زوجة رسول الله، ﷺ، وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر، وأيام الناس، أقول ابنة أبي بكر - وكان أعلم الناس - ولكن أعجب من علمك بالطب، كيف هو؟ ومن أين هو؟ وما هو؟ قال فضربت على منكبي، ثم قالت: أي عُرِّيَّة، إن رسول الله، ﷺ، كان يسقم في آخر عُمُرِهِ، فكانت تقدم عليه الوفود، من كل وجه، فتنعت له، فكنت أعالجُه، فمن ثمَّ»⁽⁴⁾.

وفي رواية أخرى عن الشعبي يذكرها، فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة»⁽⁵⁾.

وعن الشعبي أيضاً، قال: «قيل لعائشة: يا أمَّ المؤمنين، هذا القرآن تلقيته عن رسول الله، ﷺ، وكذلك الحلال، والحرام، وهذا الشعر والنسب والأخبار سمعتها من أبيك وغيره؛ فما بال الطب؟ قالت: كانت الوفود تأتي رسول الله، ﷺ، فلا يزال الرجل يشكو علةً، فيسأله عن دوائها، فيُخبره بذلك، فحفظت ما كان يصفه لهم وفهمته»⁽⁶⁾.

والملاحظ في هذه الرواية أن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تعلمت من النبي، ﷺ، أنواعاً من الطب والعلاج الذي كان يصفه لغيره.

(1) نفسه: 8 / 92، صفة الصفوة: 2 / 32، سير النبلاء: 2 / 179.

(2) البداية والنهاية: 8 / 92، سير أعلام النبلاء: 2 / 182.

(3) طبقات علماء الحديث: 1 / 88، الحلية: 2 / 49-50، صفة الصفوة: 2 / 32.

(4) الحلية: 2 / 50، صفة الصفوة: 2 / 33، سير أعلام النبلاء: 2 / 182.

(5) سير أعلام النبلاء: 2 / 197.

(6) نفسه: 2 / 197.

وكانت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تطبق مروياتها، ولا سيما الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والحكم العربية، والأشعار السائرة على مقتضى الوقائع والأحداث؛ فمن ذلك ما حكاه هشام بن عروة عن أبيه: أنها أنشدت بيت لبيد:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيت في خَلْفٍ كجلد الأجر
فقلت: رحم الله ليبدأ، فكيف لو رأى زماننا هذا؟! (1)

أما المرويات عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، من الأحاديث النبوية، والأحكام الشرعية، والسيرة النبوية، والأسرار القرآنية، وآداب العرب، ولغاتهم، وأيامهم، وسائر أحوالهم... فحدث ولا حرج.

ففي الحديث-مثلا- رُوي عنها ألفان، ومائتان، وعشرة أحاديث، وهي معدودة في الصحابة السبعة المكثرين لرواية الحديث، الذين جمعهم بعضهم في هذين البيتين:

سبعٌ من الصَّحْبِ فوق الألف قد حفظوا

من الحديث عن المختار خير مضر

أبو هريرة، سعدٌ، جابر، أنسٌ

صدِّيقٌ، وابن عباس، كذا ابن عمر

فقد روت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ألفين، ومائتين، وعشرة أحاديث، اتفق البخاري، ومسلم منها على مائة، وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بثمانية وستين (2).

وصدَّر ابن حبان البستي، باسم عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أسماء النساء الصحابيات، الراويات، عن النبي، ﷺ، في كتابه: «تاريخ الصحابة الذين رُوي عنهم الأخبار» ممَّن ابتداء اسمهن بحرف العين. (3)

(1) نفسه: 2 / 197 - 198.

(2) تهذيب الأسماء واللغات: 1 / ق: 2 / 351، وسير أعلام النبلاء: 2 / 139، وفيه: «... بتسعة وستين».

(3) ص: 201.

وفي الفقه، وبيان الفتاوى المختلفة، كانت السند الأقوى في فهم أحكام الشريعة، وأسرارها، وتوضيح دقائقها، ولا أدل على ذلك من امتلاء كتب الفقه الإسلامي، وكتب التفسير، وكتب شروح الحديث بأقوالها، وفتاويها، على اختلاف المذاهب والتوجهات.

إذ كانت إحدى مشاهير أهل الفتوى من الصحابة، وهم سبعة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أجمعين. قال ابن حزم: «ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد من هؤلاء مجلد ضخمة...»⁽¹⁾

يقول العلامة محمد الحجوي الثعالبي، الفاسي، رَحِمَهُ اللَّهُ: «عائشة بنت أبي بكر الصديق، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وزوج النبي، ﷺ، أعلم نساء الأمة التي رَوَتْ لنا شطر الدين، ملأت فتاويها كتب الصّحاح، بل العالم الإسلامي: شرقاً، وغرباً، وكان كبار الصحابة وأعلامهم يستفتونها، ويرجعون لرأيها، وكانت تناظر علماءهم، وتردُّ عليهم؛ فكم من مرّة رَدَّتْ على أبي هريرة، وعبدالله بن عمر، وابن عباس، وغيرهم، ولم لا، وهي أَحَبُّ أزواج الرسول، ﷺ، إلى الرسول، حضرته سفرًا، وحضرًا، بل شاهدت وعلمت مالم يطلع عليه غيرها.

«وكان لها الرأي الصائب في الفتوى والاستنباط، حافظة لأشعار العرب، وأيامهم. وقد قال فيها عُروة بن الزبير: لم يكن أحد أعلم بقضاء، ولا فرائض، ولا بأيام الجاهلية، ولا بطب، ولا شعر من عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي أحد المكثرين للحديث النبوي...»⁽²⁾

أما المرويات عنها في السيرة النبوية، فذاك ميدانها العملي، وروضها الزاهر، الغني بنفحات الأنس النبوية؛ إذ جميع أحداث تلك السيرة العطرة جَرَتْ تحت سمعها، وبصرها، ومعاناة فؤادها فرحاً، وحزنًا، وانتصاراً، وألماً بجانب النبي، ﷺ، فمن ثم هي خير معبر عن ذلك كله، وخير مُخبر صادق في الأحوال كلها... ومروياتها عن ذلك كله تطفح بها كتب السنة على تنوعها، وكتب السيرة المحمدية.

(1) الإصابة: 1 / 12، الإحكام في أصول الأحكام؛ لابن حزم: 5 / 566.

(2) الفكر السامي: 1 / القسم: 2 / 246.

وكذلك الشأن في المرويات عنها في القرآن، وعلومه، والتفسير وشؤونه، وذاك ما سيأتي محرراً بحول الله وقوته، في قسم المحاور.

وفي ميدان الآداب العربية؛ بشعرها، ونثرها، ولغاتها، وأمثالها، وحكمها، وأخبارها وقصصها... شهد لها الجميع، بامتلاك ناصية البلاغة والفصاحة، وقوة الحافظة، وسرعة خاطر، وحضور الحجة والبرهان، وإلزام الخصم بطرق الاستدلال والإقناع. وهذا ما نلمسه -مثلاً- في رسائلها، وخطبها الدينية، والسياسية...

وتتجلى كثرة المرويات عند عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأشعار العرب. هذه الأخيرة التي اتخذت منها الطاقة المحركة، لكل نشاط ذهني، ولكل إصلاح منطقي، ولاستكناه ما عند العرب من مخزونات فكرية، ورصيد معرفي هائل في ميادين الحقيقة، والخيال معا.

روى عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: «ما رأيتُ أحداً أروى لشعر من عروة، فقليل له: ما أرواك يا أبا عبدالله! قال: وما روايتي من رواية عائشة؛ ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً»⁽¹⁾.

وسبق قول عروة بن الزبير: «ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتاً، والمائة بيت»⁽²⁾.

وأنشدت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كثيراً من أشعار العرب، وتمثلت بها في مواقف شتى؛ من ذلك: إنشادها شعر أبي كبير الهذلي، فيما يرويه هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «كان رسول الله، ﷺ، يخصف⁽³⁾ نعله، وكنت أغزل، قالت: فنظرت إلى رسول الله، ﷺ، فجعل جبينه يعرق، وجعل عرقه يتولد نوراً. قالت فَبُهِتَ. قالت: فنظر إليَّ فقال: «ما لك بُهِتَ؟» فقلت يا رسول الله، نظرت إليك، فجعل جبينك يعرق، وجعل عرقك يتولد نوراً، فلو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحقُّ بشعره. قال: «وما يقول يا عائشة، أبو كبير الهذلي؟» فقالت: يقول:»⁽⁴⁾

(1) الاستيعاب: 4 / 358، والإصابة: 4 / 360.

(2) طبقات ابن سعد: 8 / 73، سير النبلاء: 2 / 189.

(3) أي: كان يخرزها، من الخصف: الضم والجمع. (النهاية/ خصف).

(4) الحلية: 2 / 46، دلائل النبوة؛ للبيهقي: ج: 1 / 328، الجامع الصغير؛ للسيوطي، ورمز له بعلامة الحسن.

وَمُبْرَأٍ مِنْ كُلِّ غُبْرٍ⁽¹⁾ حِيْضَةً وَفَسَادٍ مُرْضَعَةٍ، وَدَاءٍ مُغِيلٍ.

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهَهُ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ...»⁽²⁾

وتمثلت بأشعار كثيرة، في مواقف مختلفة، كل منها يحسُن في موقعه... وتحدث الأثر البالغ في أذن سامعه؛ من ذلك أنها عندما مات أخوها عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق بمكة، سنة: 53 هـ، وقيل: 54، وقدمت إليها، زارته، ثم تمثلت بشعر مُتَمِّمٍ بن نويرة في أخيه: مالك:

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَذِيمَةً بُرْهَةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ: لَنْ يَتَصَدَّعَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا⁽³⁾

ولما احتضر أبو بكر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تمثلت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ببيت أبي طالب:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ الْيَتَامَى، عَصَمَةُ لِلْأَرَامِلِ

من قصيدة، يمدح فيها النبي، ﷺ،⁽⁴⁾ ثم أغمي عليه، فتمثلت ببيت حاتم الطائي:

لَعَمْرُكَ مَا يَغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى

إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا، وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ⁽⁵⁾

⁽⁶⁾ وقالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رحم الله كبيدًا كان يقول:

قَضَّ اللَّبَانَةَ لَا أَبَالَكَ وَادْهَبْ وَالْحَقُّ بِأَسْرَتِكَ الْكَرَامُ الْغُيْبُ.

(1) «غُبْرٌ»: بقية الشيء.

(2) الحلية: 2 / 46، دلائل النبوة؛ للبيهقي: ج: 1 / 328، الجامع الصغير؛ للسيوطي، ورمز له بعلامة الحسن.

(3) البداية والنهاية: 8 / 89.

(4) انظر ما يتعلق بالبيت: نسبة، ورواية، وتخريج، في: (فضائل القرآن...)؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام، بدراستي، وتحقيقي، ج: 2 / 137. ط: وزارة الأوقاف المغربية.

(5) نفس المرجع. وفيه تحقيق الرواية، والنسبة، والتخريج.

(6) نفس المرجع. وفيه تحقيق الرواية، والنسبة، والتخريج.

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ.
فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ زَمَانُنَا هَذَا؟! ثُمَّ قَالَتْ: إِنِّي لِأُرَوِّي أَلْفَ بَيْتٍ لَهُ، وَإِنَّهُ أَقْلُ مَا أُرَوِّي
لِغَيْرِهِ. (1)

«وسمع النبي ﷺ، عائشة، وهي تنشد شعر زهير بن جناب:

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يُخْزِبُكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا، فَتَدْرِكُهُ عَوَاقِبُ مَا جَنَى.
يُجْزِيكَ، أَوْ يَثْنِي عَلَيْكَ فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ، فَقَدْ جَزَى.
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ، يَا عَائِشَةُ، لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» (2)

روى عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كثير من الصحابة، والصحابيات، وفي مقدمتهم: أكابر
الصحابة؛ كعمر، وأبي موسى الأشعري، وعمر بن العاص، وأبي هريرة، وابن عمر،
وابن عباس، وغيرهم. (3)

وروى عنها أيضا من أكابر التابعين جماعة، منهم: سعيد بن المسيب، وعمر بن
ميمون، ومسروق بن الأجدع، وسليمان بن يسار، وزر بن حُبَيْش، وطاوس، وعطاء بن
أبي رباح، وعكرمة، ومجاهد بن جبر المكي، ونافع مولى ابن عمر، وخلق كثير. (4)

وكذلك أخذ كثير من النساء عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إلا أنه «لم يكن في النساء أعلم من
تلميذاتها: عَمْرَةُ بنت عبد الرحمن، وحفصة بنت سيرين، وعائشة بنت طلحة». (5)

هذه لمحة عن الرواة، والمرويات عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إجمالاً، بما فيها من حديث،
وفقه، وعلوم القرآن، والتفسير، والتوحيد، والسيرة النبوية، إضافة إلى ما رُوي عنها
من أشعار العرب، وآدابهم، وتاريخهم، وطبهم، وأحوالهم المختلفة.

(1) أعلام النساء: 3 / 120.

(2) سنن أبي داود؛ وقال: صحيح. ونقله عنه المنذري في: الترغيب والترهيب: 2 / 78.

(3) الإصابة: 4 / 361، تهذيب التهذيب: 12 / 433-434.

(4) نفسه.

(5) البداية والنهاية: 8 / 92.

وعلماء الغرب الإسلامي-مثل إخوانهم في المشرق-نهلوا ممَّا رُوي عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كل على قدر ما وصله:
(غَرْفًا من البحر، أو رَشْفًا من الدِّيم)⁽¹⁾.

أو على قدر ما صحَّ عنده، وتحرَّى في نقله الصواب.

وأرى من بين هؤلاء الأعلام المغاربة: المفسِّر: محمد بن أحمد بن جُزَيِّ الكلبي الأندلسي، المتوفى شهيداً في واقعة: «طريف» سنة: سبعمئة وإحدى وأربعين من الهجرة.

وهكذا نتقل إلى المرويات عنها في هذا التفسير القيم المسمى: «التسهيل لعلوم التنزيل».

وتمهيداً لذلك، لابدَّ من التعريف بابن جزي، وبكتابه، وذلك في المبحث الآتي:

المبحث الثاني: ابن جزي، وكتابه: «التسهيل».

هو الإمام أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، الأندلسي، الغرناطي، وُلد: 693هـ، واستشهد: 741هـ.⁽²⁾

ومن أحسن ما قيل في ترجمته: أنه «كان - رَحِمَهُ اللَّهُ - على طريقة مثلى، من العكوف على العلم، والاقنيات من حُرِّ النَّسَب، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيهاً، حافظاً، قائماً على التدريس، مُشاركاً في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حافظاً للتفسير، مستوعباً للأقوال، جَمَاعَةً للكتب، مُلَوِّكِيَّ الخزانة، حسن المجلس، مُتَمَتِّع المحاضرة...».⁽³⁾

(1) عَجُزَيْت من قصيدة: «البردة»؛ للإمام البُوصيري.

(2) انظر ترجمته في: الدِّيَّاج المذهب؛ لابن فرحون: 295، نثر الجمان؛ لابن الأحرر: 165-166، غاية النهاية؛ لابن الجزري: 2/ 83، الدرر الكامنة؛ لابن حجر: 3/ 356، طبقات المفسرين؛ للدودي: 2/ 81-83، لقط الفرائد؛ لابن القاضي: (ألف سنة من الوفيات: 192)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج؛ لأحمد بابا التنوكتي، بهامش الديباج: 238، أزهار الرياض في أخبار عياض؛ للمقري: 3/ 184-187، نفح الطيب؛ له أيضاً: 5/ 514-517، الأعلام؛ للزركلي: 6/ 221.

(3) نثر الجمان؛ لابن الأحرر: 165-166، فيما نقله عن ابن الخطيب: تلميذ أبي القاسم؛ ابن جزي.

وقال ابن الأحرر: «كان فقيهاً إماماً عالماً بجميع العلوم، محصّلاً، قارب درجة الاجتهاد، ودوّن وصنّف في كل فنّ، وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة، وقُتل شهيداً ب«طريف» في سنة: إحدى وأربعين وسبعمائة⁽¹⁾. وحلّاه الحضرمي في فهرسته، قائلاً: «شيخنا الفقيه الجليل، الأستاذ المقرئ، الخطيب، العالم المتفنّن، المصنف، الحسيب، الهاجد المثيل، الصدر المعظم، الفاضل، الشهيد بوقية: «طريف»⁽²⁾».

لابن جزي - رَحِمَهُ اللَّهُ - مؤلفات كثيرة، في علوم مختلفة، وكلّها أجاد فيها: كالقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والعقائد، والأصول، واللغة، وغيرها، ويقع على رأسها؛ تفسيره القيم: «التسهيل لعلوم التنزيل»، و«القوانين الفقهية»، في تلخيص مذهب المالكية».

كما أن لابن جزي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فهرسة كبيرة حافلة بذكر أهل المشرق والمغرب على حد سواء، ولا شك أنها محلاة بذكر شيوخه الكبار؛ أمثال الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وأبي عبدالله بن برطال، وأبي القاسم بن الشاط، والحافظ ابن رشيد الذي لازمه مدّة، وابن الكمّاد، وأبي عبدالله الطنجالي، وآخرين⁽³⁾.

وكان ابن جزي شاعراً، عُرفت له أشعار في عدة أغراض، وآخر شعر له، أنشده في واقعة طريف التي فقد فيها، وهو يُحرّض المسلمين على الجهاد، سنة: 741 هـ.

«قال الفقيه المحدث الوزير أبو بكر ابن ذي الوزارتين ابن الحكم: أنشدني يوم الواقعة من آخر شعره قوله:

قَضَى المؤمِّنُ لِي فِي جَهَنَّمِ، وإِسْرَارِي

وَمَطْلَبِي مِنِّي إِلَهِي الْوَاحِدُ الْبَارِي

شَهَادَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَالِصَةٌ

تَحْذِيرٌ وَذَنْبِي، وَتَنْجِينِي مِنَ النَّارِ

(1) نثر الجمان: 166.

(2) نيل الابتهاج، بهامش الديباج: 238.

(3) انظر مراجع الترجمة.

إن المعاصي رجس لا يطهرها
إلا الصوارم من أيمن كفار

ثم قال: في اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات... قال الوزير: فكان آخر عهدي به.⁽¹⁾

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل.

هذا التفسير من أهم التفاسير، وأخصرها، وأدقها، وأكثرها فائدة، يقع في أربعة أجزاء، افتتحه مؤلفه بمقدمتين: «إحدهما في أبواب نافعة، وقواعد كلية جامعة؛ والأخرى فيما كثر دوره من اللغات الواقعة [فيه]⁽²⁾ وهكذا ضمت المقدمة الأولى اثني عشر باباً، وكلها في علوم القرآن، وما يتوصل به إلى فهم القرآن الكريم من العلوم والفنون الضرورية، التي لا يجوز لمن يجهلها أن يتكلم في كتاب الله عزَّ وجلَّ.⁽³⁾

والمقدمة الثانية قصرها المؤلف على تفسير معاني اللغات للكلمات التي يتكرر ذكرها في التنزيل، وبيّن سبب صنيعة ذلك، ورَتَّب هذه الألفاظ على حروف المعجم، ليسهل تداولها، مع ما يشترط لذلك من شروط وضوابط.⁽⁴⁾

وقد استعرض -رَحِمَهُ اللَّهُ- مناهج المفسرين، وطرائقهم، وقرَّر أن يحتل كتابه هذا، المنزلة الوسطى بين التطويل والاختصار، مع استيفاء القصد، وإيضاح الغرض، وذكر النكت العجيبة، وحل المشكلات الغريبة، وتحقيق أقوال المفسرين، إلا أنه قال: «على أني لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلاً، وذلك لقلّة صحة إسنادها إليهم، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم»⁽⁵⁾، إلى أن يقول: «... وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان، لم أذكره، تنزيهاً للكتاب، وربما ذكرته تحذيراً منه، وهذا الذي من

(1) نيل الابتهاج: 238، بهامش: (الديباج).

(2) خطبة. التفسير، ص: 3.

(3) نفسه، ص: 4-15.

(4) نفسه، ص: 15-29.

(5) نفس المرجع، ص: 3.

الترجيح والتصحيح مبني على القواعد العلمية، أو ما تقتضيه اللغة العربية، وسنذكر بعد هذا باباً في موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله.⁽¹⁾

إذا كان هذا هو موقف ابن جزّي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في الإقلال من الروايات، وتمحيص ما ينقله منها، فإننا لا نستغرب قلة النقول وندرتها عنده في تفسيره؛ لأن من المعلوم أنه ليس كل نقل تصح نسبته إلى من نقل عنه؛ فمن هنا جاء اقتصاده في الروايات، والمرويات، حتى إننا نراه لا يذكر إلا روايات قليلة عن بعض الصحابة، مع إكثاره عن أسماء معينة منهم، مثل: بعض أزواج النبي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كعائشة، وحفصة، وأم سلمة، والخلفاء الأربعة، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وأبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله... وطلحة، والزبير، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاصي، على تفاوت فيما بينهم في عدد المرويات عنهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين...

وإذا كان هؤلاء الأعلام من الصحابة، ممن ذكر مروياتهم ابن جزّي في كتابه: (التسهيل)، فإننا نقف باهتمام عند إحداهم، وهي عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وذلك في المبحث الموالي:

المبحث الثالث: المرويات عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في: «التسهيل...» لابن جزّي.

نقل ابن جزّي في تفسيره هذا - فيما أحصيت في أجزائه الأربعة - خمسين مروية، من المرويات عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ووزعتها، كما سبق القول، على اثني عشر محوراً. وفيما يلي بعض النماذج لكل محور من تلك المحاور:

المحور الأول: التوحيد.

❖ قالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان الحوارثون أعرفَ برّبهم من أن يقولوا: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ...»⁽²⁾، وكانت تقرّها: «هل يستطيع ربك...» بتاء الخطاب، بمعنى: هل

(1) نفسه.

(2) «إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ»، من سورة: المائدة، الآية: 112.

تستطيع سؤال ربك. واعتبر الزمخشري في ظاهر لفظ: ﴿هل يستطيع ربك﴾ أنهم شكوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة، وقال: ما وصفهم الله بالإيمان، ولكن حكى دُعواهم في قولهم آمنا. وقال ابن عطية وغيره: ليس كذلك لأنهم شكوا في قدرة الله، لكنه بمعنى: هل يفعل ربك هذا؟ وهل يقع منه إجابة إليه؟ وهذا أرجح؛ لأن الله أنثى على الحواريين في مواضع من كتابه، وقراءة: «تستطيع» على الخطاب لا تقتضي أنهم شكوا.⁽¹⁾

❖ وقالت، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «من زعم أن محمداً يعلم الغيب، فقد أعظم الفرية على الله»، ثم قرأت: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽²⁾. قال ابن جزي: «هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالى بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه»، ثم ساق أسئلة، وأجوبة حول معنى الغيب.⁽³⁾

❖ وقالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لو كان رسول الله، ﷺ، كاتماً شيئاً من الوحي، لكتُم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّبِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾»⁽⁴⁾.

قال ابن جزي -رحمة الله- «فالذي أخفاه، ﷺ، هو إرادة تزوجها، فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوجها. والذي أخفاه رسول الله، ﷺ، أمر جائز مباح، لا إثم فيه، ولا عتب»⁽⁵⁾؛ لقوله تعالى: ﴿قَلَمًا فَضَبِي رَيْهَ مِنْهَا وَطَرًّا رَوَّجْنٰكَهَا لِيَكُنْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ مِّنْ أَرْوَاحٍ أَدْعِيَآ بِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًّا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾⁽⁶⁾.

(1) انظر: التسهيل: 1 / 193.

(2) سورة: النمل: 65. والحديث في البخاري: 3 / 193، ج: 4 / 274، ومعه الشاهد من القرآن، مسلم: 1 / 110.

(3) التسهيل: 3 / 99.

(4) الأحزاب، الآية: 37. وقول عائشة في البخاري: 3 / 125، مسلم: 1 / 110.

(5) التسهيل: 3 / 139. والآية من سورة: الأحزاب: 37.

(6) الأحزاب: 37.

❖ واستدلت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بالآية: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۚ﴾⁽¹⁾ على أن الموتى لا يسمعون، وأنكرت ما ورد في خطاب النبي، ﷺ، لِقَتْلَى بدر حين جُعلوا في القليب⁽²⁾.

قال ابن جزي: «ولكن يمكن الجمع بين قولها، وبين الحديث بأن الموتى في القبور، إذا رُذَّت إليهم أرواحهم إلى أجسادهم سمعوا، وإن لم ترد لم يسمعوا»، وكان صدر تفسير الآية بقوله: «عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ، فشبَّههم بالموتى في عدم إحساسهم»⁽³⁾.

❖ وقالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۚ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى ۚ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۚ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾⁽⁴⁾: إن النبي، ﷺ، لم ير ربه بعينه؛ مع العلم أن الرسول، ﷺ، قد سُئِلَ: سئِلَ: هل رأيت ربك؟ فقال: نوراني أراه. قالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «من زعم أن محمداً رأى ربه ليلة الإسراء، فقد أعظم الفرية على الله تعالى»⁽⁵⁾.

❖ وقالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في شأن التي جادلت النبي، ﷺ، وحاورته في قضية زوجها، والتي نزل في شأنها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝﴾⁽⁶⁾ قالت: «سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنت حاضرة، وكان بعض كلام خولة يخفي عليّ، وسمع الله كلامها...»⁽⁷⁾.

(1) فاطر، الآية: 22.

(2) البخاري: 3 / 188.

(3) التسهيل: 3 / 157.

(4) النجم، الآيات: 11-14.

(5) التسهيل: 4 / 76.

(6) سورة المجادلة، الآية: 1.

(7) التسهيل: 4 / 101.

❊ وقالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا يَوْمَئِذٍ﴾ أنت من ذكربها إلى ﴿رَبِّكَ مُنْتَهِيهَا﴾ (1): كان رسول الله، ﷺ، يُسأل عن الساعة كثيراً، فلما نزلت هذه الآية انتهى (2).

❊ وعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تحاور النبي، ﷺ، في معنى: «الحساب اليسير» في قوله تعالى: ﴿بِأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (3) ﴿يَسْأَلُ عَنْ حِسَابِ حَسَابٍ يَسِيرًا﴾ (4) ﴿وَيَنْفَلِبْ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (5).

قال ابن جزي: «يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل، أو بمعنى هيِّن سهل، وفي الحديث: أن رسول الله، ﷺ، قال: من نُوقِش الحساب عُدِّب. فقالت عائشة: ألم يقل الله: ﴿يَسْأَلُ عَنْ حِسَابِ حَسَابٍ يَسِيرًا﴾؟ فقال رسول الله، ﷺ: «إنما ذلك العَرَضُ، وأما من نُوقِش الحساب فيهلك» (4).

المحور الثاني: علوم القرآن.

تناولت المرويات عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كثيراً من القضايا القرآنية، وذلك كأول ما نزل من القرآن، ورسم بعض كلمات القرآن، ومنزلة الماهر بالقرآن... إلخ. ففيما يخص أول ما نزل من القرآن، على النبي، ﷺ، ورد في الحديث الصحيح عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في حديثها الطويل في ابتداء الوحي، قالت فيه: «جاءه الملك، وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطَّنِي، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ... ثم قال: ﴿إِفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾... عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ

(1) سورة: النازعات، الآيات: 42-44.

(2) التسهيل: 4 / 177. البخاري: 4 / 275. في باب: (قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾). وانظر السؤال عن الساعة في: الدر المنثور؛ للسيوطي: 6 / 314.

(3) الانشقاق، الآيات: 7-9.

(4) التسهيل: 4 / 187. وانظر الحديث في البخاري ج: 1 / 30. في باب: (من سمع شيئاً فراجع شيئاً حتى يعرفه). 3 / 213. ونقله المنذري في الترغيب والترهيب: 2 / 78. وشرحه ابن الأثير في النهاية -نقش- وأعاد البخاري ذكره في: 4 / 134-135، تحت باب: (من نُوقِش الحساب عُدِّب)، وهو في المعجم الصغير: 2 / 182.

يَعْلَمُ»⁽¹⁾ فرجع بها رسول الله، ﷺ، يرجف فؤاده، فقال: زملوني، زملوني، فزملوه، حتى ذهب عنه ما يجد من الروح»⁽²⁾.

وفيا يخص الماهر بالقرآن، روى عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: «قال رسول الله، ﷺ: الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأهُ وَيَتَتَعَّعُ به وهو عليه شاق، فله أجران»⁽³⁾.

وبما أن الأغلب من تلك القضايا القرآنية، عند ابن جزّي: عبارة عن إشارات، فإني رأيت الوقوف عند ما يثير منها اهتمام القارئ، وخاصة: التي قد تبدو -لأول وهلة- مشكلة، وعويصة أحيانا أخرى، كما في المحور الآتي:

المحور الثالث: القراءات المروية عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

✽ قرأت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «هل تستطيع ربك..»⁽⁴⁾ على الخطاب، ونصب «ربك» على التعظيم... مع العلم أن قراءة ورش عن نافع «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ..» بياء المضارعة، ورفع «ربك» على الفاعلية. وقد سبقت الآية، والقراءتان، مع توجييهما في محور التوحيد.

✽ وقرأت أيضا: «والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلّة أنهم إلى ربهم راجعون»⁽⁵⁾. هكذا «يأتون ما أتوا» بالقصر، وهي قراءة شاذة، وقراءة الجماعة: «يُؤْتُونَ ما أتوا»

(1) سورة: العلق، الآيات: 1-5.

(2) التسهيل: 1/ 4، 4/ 208. وانظر البخاري: 3/ 209-210، 218-219. والحديث عن عائشة،

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وجابر بن عبدالله، وأبي سلمة بن عبدالرحمن في: مسلم 1/ 97-99.

(3) التسهيل: 4/ 177. وانظر البخاري: 3/ 213، مسلم: 1/ 195. والماهر: الحاذق بالقراءة.

(النهاية/ مهر). والسفرة: الملائكة.

(4) المائدة: 112.

(5) التسهيل: 3/ 53. وقراءة عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قرأ بها أيضا: ابن عباس، وقتادة، والأعمش، والحسن،

والنخعي. ومعناها: إتيان الشيء وفِعْلُهُ. ومعنى قراءة «أتوا» بالمد: الإعطاء. قالت عائشة للنبي، ﷺ:

«هو الذي يزي، ويسرق، ويشرب الخمر، وهو على ذلك يخاف الله؟ قال: لا، يا بنه الصّدّيق، ولكنّه هو

الذي يصلي، ويصوم، ويتصدّق، وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه». (البحر المحيط)؛ لأبي حيان:

6/ 410-411، و (الجامع لأحكام القرآن)؛ للقرطبي: 12/ 132-133. وقراءة عائشة شاذة، ذكرها

ابن جني في: (المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات) ج: 2/ 95، والطبرسي في: (مجمع البيان في تفسير

بالمَدِّ. قال الفَرَّاء: «ولو صحَّت هذه القراءة عن عائشة، لم تخالف قراءة الجماعة...» ثم ذكر توجيه ذلك.

وقول الفَرَّاء، هذا، نقله القرطبي، والشوكاني، ولم أجدهُ في تفسير الفَرَّاء بهذا اللفظ. وخطأت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كُتِبَ المصحف في ثلاث آيات، والشك في صحة تلك الروايات الثلاث عنها.

والآيات هي:

(1) قوله تعالى: ﴿لَكِ الرِّسْحُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وَلِيكَ سَنُوتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧٦﴾⁽¹⁾.

(2) قال ابن جزي: «(والمقيمون) منصوب على المدح بإضمار فعل، وهو جائز كثيراً في الكلام. وقالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «هو من لحن كتاب المصحف». وفي مصحف ابن مسعود: «والمقيمون» على الأصل»⁽²⁾.

(3) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽³⁾.

قال ابن جزي: «(والصابئون) قراءة السبعة بالواو، وهي مشكلة، حتى قالت عائشة: «هي من لحن كتاب المصحف». وإعرابها عند أهل البصرة: مبتدأ، وخبره محذوف، تقديره: «والصابئون كذلك»، وهو مقدَّم في نية التأخير، وأجاز بعض الكوفيين أن يكون معطوفاً على موضع اسم «إِنَّ». وقيل: «إِنَّ» هنا بمعنى «نَعَمْ» وما بعدها مرفوع بالابتداء، وهو ضعيف»⁽⁴⁾.

=القرآن ج: 7 / 110. وانظر: (معاني القرآن)؛ للفَرَّاء ج: 2 / 238، و (فتح القدير)؛ للشوكاني: 488 / 3. والآية من سورة: (المؤمنون)، رقم: 60.

(1) النساء: 162.

(2) التسهيل: 1 / 164.

(3) المائدة: 69.

(4) التسهيل: 1 / 183-184.

(1) قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيفَتِكُمُ الْمَثَلِي (1)﴾.

قال ابن جزى - وأنقل نصه كاملا لعرض حلول كثيرة لتوجيه تلك القراءة -:

«قُرئ: «إِنَّ هَٰذِينَ» بالياء، ولا إشكال في ذلك. وقُرئ بتخفيف «إِنَّ» وهي مخففة من الثقيلة، وارتفع بعدها «هَٰذَانِ» بالابتداء، وأما قراءة «نافع» وغيره بتشديد «إِنَّ» ورفع «هَٰذَانِ»، فقليل: «إِنَّ» هنا بمعنى «نعم» فلا تنصب، ومنه ما رُوي في الحديث: «إِنَّ الحمد لله» بالرفع. وقيل اسمُ «إِنَّ» ضمير الأمر والشأن، تقديره: إِنَّ الأمر، «وهَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ» مبتدأ وخبر، في موضع خبر «إِنَّ».

«وقيل: جاء القرآن في هذه الآية بلغة «بني الحارث بن كعب»؛ وهو إبقاء التثنية بالألف، حال النصب، والخفض. وقالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «هذا ممَّا لحن فيه كتاب المصحف» (2).

وأقوال عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الثلاثة، المذكورة عند ابن جزى، في موضوع اللحن المزعوم في القرآن الكريم، ذكرها جماعة من السلف؛ ممن أَلْفُوا في علوم القرآن؛ كأبي عبيد القاسم بن سلام، في كتابه: (فضائل القرآن...) (3)، وابن قتيبة في: (تأويل مشكل القرآن) (4)، والباقلاني في: (الانتصار لنقل القرآن)، ومختصره: (نكت الانتصار...)؛ لأبي عبدالله الصابوني (5)، أو من أَلْفُوا في التفسير؛ كالفرَّاء في: (معاني القرآن) (6)، والطبري، والطبري، في: (جامع البيان) (7)، أو من أَلْفُوا في القراءات؛ كالدَّاني في: (المقنع) (8) وابن زنجلة في: (حجة القراءات) (9).

(1) طه، الآية: 63.

(2) التسهيل: 3 / 15.

(3) الكتاب بتحقيق كاتب البحث. انظر: ج: 2 / 103.

(4) انظر: ص: 25 - 26 - 50 - 54 - 56 - 57 - 58.

(5) نكت الانتصار: 127 - 134.

(6) ج: 1 / 106 - 107، 310 - 311.

(7) ج: 16 / 136 - 137.

(8) ص: 117.

(9) ص: 242 - 244.

وما ادَّعى المدَّعون على القرآن من اللحن، في الرواية عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قد ادَّعى نحوه، في الرواية عن عثمان بن عفان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد روى أبو عبيد بسنده، إلى عكرمة، قال: «لَمَّا كُتِبَ المصاحف، عُرِضَتْ على عثمان، فوجد فيها حروفاً من اللحن، فقال: لا تغيروها، فإن العرب ستُغيِّرُها، أو قال: ستُعربها بألُستها، لو كان الكاتب من «ثقيف»، والمثلي من «هذيل» لم توجد فيه هذه الحروف»⁽¹⁾.

فمقصود عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن «ثقيفا» كانت أبصر وأعرف بالهجاء، أي بالكتابة، وقواعدها، وأن «هذَيْلاً» تُظهر الهمز في ألفاظها، والهمزة، إذا ظهرت في لفظ المثلي، كتبها الكاتب على مَخْرَج اللفظ.⁽²⁾

وقد يكون قصد عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بذكر اللحن تلك الحروف التي عدل عنها إلى غيرها ومحاهها، باستشارته مع أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، عندما كانوا يعرضون المصاحف؛ فزيدت الهاء في: ﴿يَتَسَنَّهُ﴾⁽³⁾ بدل: (يتسنن)، وكتبت: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾ بدل: ﴿لِلَّهِ﴾⁽⁴⁾ بدل: (للخلق الله)، وُحِيت ألف (فأمهل)⁽⁵⁾، وكتب: ﴿بِمَهْلٍ﴾.

قال ابن قتيبة - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطاً من الكاتب، كما ذكرت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. فإن كانت على مذهب النحويين، فليس هاهنا لحنٌ بحمد الله. وإن كانت خطأ في الكتاب⁽⁶⁾، فليس على رسوله، ﷺ، جناية الكاتب في الخط.

«ولو كان هذا عيباً يرجع على القرآن، لرجع عليه كل خطأ وقع في كتابة المصحف من طريق التهجي... كَتَبَ كِتَابُ المصحف: «الصَّلَاةُ» و«الزَّكَاةُ» و«الحَيَاةُ» بالواو، واتبعناهم في هذه الحروف خاصة على التَّيَمُّن بهم، ونحن لا نكتب «الْقَطَاةُ» و«الْقَنَاةُ»

(1) فضائل القرآن: 2 / 103، نكت الانتصار: 128.

(2) نكت الانتصار: 128.

(3) البقرة: 259.

(4) الروم: 30.

(5) الطارق: 17.

(6) يعني في الرسم، والكتابة.

و «الفَلَاة» إلا بالألف، ولا فرق بين تلك الحروف وبين هذه. وكتبوا «الرَّبُو» بالواو⁽¹⁾.

إلى أن قال: «وهذا أكثر في المصحف من أن نستقصيه. وكذلك لحن اللّاحنين من القُرّاء المتأخرين لا يُجعل حجة على الكتاب. وقد كان الناس قديماً يقرأون بلغاتهم كما أعلمتك.

» ثم خَلَف قوم بعد قوم من أهل الأمصار، وأبناء العجم، ليس لهم طبع اللغة، ولا علم التكلف، فَهَفُوا في كثير من الحروف وَزَلُّوا، وقرأوا بالشاذ وأخلُّوا⁽²⁾.

قال العلامة: السيد أحمد صقر، محقق كتاب: (تأويل مشكل القرآن) بعد أن ساق ما رُوي عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، من مسألة اللحن وخطأ كاتب المصحف، وبعد أن أعقبها أيضاً بما رُوي عن عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من أنه نظر في المصحف، فقال: أرى فيه لحنًا، وستقيمه العربُ بألستها، قال معلقاً على الخبرين: «الرواية في المصادر السابقة، وهي رواية موضوعة كسابقتها»⁽³⁾.

ولعل ما جاء في: (نكت الانتصار) يلخص القضية كلها في كَوْن الحديث عن عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إنما رواه قتادة مرسلاً، ولعل من أرسله ممن لا يُقبل خبره، ولا يُلتفت إليه، ولو كان الخبر صحيحاً وسلم من الاضطراب، الذي هو ثابت فيه، لم يجب القطع به والعمل عليه. والرواية المسندة عن قتادة في هذا عن نصر بن عاصم، عن عبدالله بن فطيمة، عن يحيى بن عُمر قال: قال عثمان: «في القرآن لحنٌ تقيمه العرب بألستها». وهو غاية في الاضطراب والضعف. وابن فطيمة هذا مجهول، حامل الذكر، لا يُقبل خبره.

» فأما ما روي عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، من قولها: «في المصحف حروف لحنٍ من غلط الكاتب، فهو أيضاً غاية في الضعف والاضطراب، ولو صحَّ لكان خبراً واحداً، لا

(1) تأويل مشكل القرآن: 56-57، وانظر: نكت الانتصار: 128.

(2) نفسه.

(3) نفسه؛ هامش ص: 26.

يوجب العلم، ولو صحَّت الرواية بذلك وتبيَّنت، فيكون عثمان، رضي الله عنه، إنما أراد أن في القرآن لَحْنًا على لغة بعض العرب، لا يتكلمون بتلك الكلمات، وإن من اعتاد الكلام بلغة، لا يقدر على الرجوع إلى هذه الكلمات، ويعتقد أنها لَحْنٌ، وأنها لم تنزل كذلك.

«ويُحتمل أن يكون قصد بقوله: إن فيه لحنًا عند من توهم ذلك، وخفي عليه وجه إعرابه...

»والذي يعتمد عليه في قول عثمان، رضي الله عنه، أن القصد به: ما وُجد فيه من حذف الكاتب، واختصاره في مواضع، وزيادته في مواضع، وإن الكاتب لو كتبه على صورة اللفظ ومَحَرَّجه، لكان أولى وأنفى للشبهة، مثل كتبهم «الصلاة» و «الزكاة»: «الصلوة» و «الزكوة» بالواو، وكان الأولى: أن تكتب على اللفظ، مثل: إبراهيم، وإسماعيل، وما أشبه ذلك ممَّا حذف فيه الألف، وهو ثابت في اللفظ، ونحو إلحاقهم في آخر الكلمة في: «قالوا» و «قاموا» ألفًا، وهو غير بيِّن في اللفظ...»⁽¹⁾.

الفرق بين قراءة القرآن، وكتابته.

يخلص صاحب: «نكت الانتصار» اعتماداً على كتاب: «الانتصار، لنقل القرآن»؛ للإمام الباقلاني، إلى أن هناك فرقاً أساسياً بين قراءة القرآن التي تحرم بغير اللفظ القرآني، وبين كتابة تلك الألفاظ التي يجوز أن تكتب بأي رسم، ما دام معبراً عن حقائق القرآن ومعانيه. وإن كان مقام التبرك بعمل السلف، ومتابعة الخلف، يقتضي الاقتصار على الرسم العثماني الذي قد تغيب عنا كثير من حقائقه وأهدافه، «وَمَا يَغْفِلُهَا إِلَّا الْأَعْلَمُونَ»⁽²⁾.

«فالله تعالى إنما أوجب على القراء والحفظة ألا يزيدوا في القرآن، ولا ينقصوا منه، ولا يأتوا به على المعنى، ولم يأخذ على الكتبة رسماً بعينه، دون غيره؛ لأن ذلك لا يجب إلا بالسمع، ولا دليل على السمع على ذلك.

(1) نكت الانتصار: 127-128.

(2) العنكبوت: 43.

«وقد ثبت أن خطوط المصاحف متغايرة مختلفة، وأن الناس أجازوا ذلك أجمع، وأجازوا أن يكتب كل واحد بما هو عادته وأشهر عنده. والسبب في ذلك: أن الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود، وإذا دل الرسم على الكلمة والوجه الذي يجب التكلم به، وجبت صحته، وتصويب الكاتب له على أي صورة كان»⁽¹⁾.

✽ تبرئة عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، من الادعاء بأنها خطأت كتاب المصاحف.

«وأما قول عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في تلك الحروف: إنها غلط من الكتاب، فقد بينا أنه من أخبار الآحاد، ولا حجة فيه، ولا يجوز لذي دين أن يعتقد أن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كانت تُلحّن الصحابة، وتُخطّي كتبة المصاحف. والأشبه فيما روي عنها، وعن غيرها، إن صحّ، وسلم سنده أن يكونوا قالوا: إن الوجه الظاهر المعروف في هذه الحروف غير ما جاء به المصحف، وأن استعماله على ذلك الوجه غامض، أو غلط عند كثير من الناس، ولحن عند من لا يعرف الوجه فيه، فلم تضبط هذه الرواية عنهم، ولم يسمعوا تمامه، ولم يُوردوه على وجهه لسهوهم. وأما أن يقطع عثمان وعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن في القرآن لحنًا وغلطًا فذلك باطل...»⁽²⁾.

المحور الرابع: اللغة والنحو.

اللغة تعني في مفهومها العام: المعاني التي تؤخذ من المفردات والتراكيب، سواء عن طريق الوضع، أو عن طريق الاصطلاح، عند من يعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية.

أما النحو، فهو القواعد والضوابط التي تبحث في الأسماء، والأفعال، والحروف، والمُعَرَّب، والمبني، إلى غير ذلك من مكونات علم النحو، الذي لا يستقيم الكلام إلا بمعرفته، وتطبيق قواعده.

ولعل الآيات الثلاث التي جاءت في قول عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في شأن لحن كتاب المصاحف.. قد تم النظر إليها من جانب النحو والإعراب، وهي:

(1) نكت الانتصار: 129.

(2) نفسه: 129-130.

- ﴿إِنَّ هَذَا لَسَجَرَانِ...﴾⁽¹⁾
- ﴿لَيْسَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَتُوبُكَ سَنُوتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽³⁾

وقد أفاض المفسرون، وأصحاب إعراب القرآن في بيان معاني تلك الكلمات المسؤول عنها، مع الإفاضة أيضاً في توجيهها، ووجوه إعرابها، مما لا يبقى معه بحمد الله ريب ولا التباس.

أما اللغة، فقد كانت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، على جانب كبير من فهم لغة العرب، وإدراك أسرارها، ومن نماذج ذلك، التي تعد عمقا في تحصيلها اللغوي، المرتبط ببيان الحكم الشرعي: قولها في: «الأقراء» جمع «قراء» أنها «الأطهار» وقد قال بقولها كل من الإمامين: مالك، والشافعي، وخالفهم جميعا أبو حنيفة، وقال: إن «القراء» هو الحيض.

قال ابن جزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ...﴾⁽⁴⁾: «قُرُوء: جمع قَرء، وهو مشترك في اللغة بين الطُّهْرِ والحيض، فحمله مالك والشافعي على الطهر؛ لإثبات التاء في: «ثلاثة»، فإن الطهر مذكّر، والحيض مؤنث، ولقول عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الأقراء، هي الأطهار، وحمله أبو حنيفة على الحيض؛ لأنه الدليل على براءة الرحم، وذلك مقصود العدة، فعلى قول مالك، تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة، إذا طلقها في طهر لم يمسه فيها، وعند أبي حنيفة بالطهر منها»⁽⁵⁾.

وهذه أبيات نظمت فيها مسألة: «القَرء» و «القروء» بعنوان:

(1) طه، الآية: 63.

(2) النساء: 162.

(3) المائدة، الآية: 69.

(4) البقرة: 228. وانظر قول عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في تفسير ابن كثير: 1/ 478، والنهاية/ قرأ.

(5) التسهيل: 1/ 81. وانظر: أحكام القرآن؛ للإمام الشافعي. ج: 1/ 242، والقوانين الفقهية؛ لابن

جُزَيِّ: 178، والفقه على المذاهب الأربعة؛ لعبد الرحمن الجزيري: 4/ 540، 543.

القرء بين الضبط، والمعنى، والحكم:

إن القروء جمع «قرء» يافتى
وهو لفظٌ عندهم مشتركٌ
وحكموا للطهر بالتذكير
دليلهم: ثلاثة بالتاء
وأثّوا «الحيض» بعكس «الطهر»
أمّا أبو حنيفة فقد جعل
وعده أقوى الدلائل على
لكنّ حجة الإمام مالك
قد بُنيت على اللغات، والأثر
وكان في الفقه أبو حنيفة
لكنه ضَعَّف في الحديث
وعدم الحفظ؛ لأن العلماء
فالصّدق، والحفظ، كذاك الضبط
نحو ثلاثمائة رواها
وكلّها قد صَحَّفَتْ، أو حُرِّفَتْ
وصحّ عنه نحو بضعة عشر
ذكرَ ذاك شيخنا الألباني
وكلّهم مجتهد إمام

بفتح قافٍ، هكذا قد ثبتا
ما بين طهر، ثم حيضٍ أدركوا
لمالك، والشافعي الكبير
مضافة بعد إلى الأقراء
في لغة العرب قديماً فادر
معناه «حيضاً» للذي به انزل
براءة الرّحم فيها حصلاً
والشافعي أصحّ في المسالك
وليس من مشى «الوَحَا» كمن عثر
والصّدق في مرتبة مُنيفة
لعدم الضبط القوي الحثيث
قد شرطوا اجتماعها متمماً
ثلاثة لم يتركوها قطعاً
من الحديث ماله سواها
في المتن، والسند، لا ما عُرِفَتْ
من الأحاديث، وفي الباقي نظر
فانظر «ضعيفته» بالتبيان
لهم علينا الفضل واحترام

المحور الخامس: أسباب النزول.

من المعلوم أن جمهرة الآيات القرآنية نزلت ابتداءً، ولم يكن لها سبب نزول، وبعض الآيات، وبعض السُّور تكرر نزولها كسورة الفاتحة -مثلاً- على القول بنزولها مرتين: مرة في مكة التي فرضت فيها الصلاة إذ لا تصح صلاة بدون الفاتحة، ونزلت مرة ثانية في المدينة بعد الهجرة النبوية.

وقد جرى عمل السلف، والخلف على أن الآية الواردة على سبب خاص، لا يمتنع حملها وتطبيقها على أشباهها ونظائرها من الأحوال التي نزلت فيها. ولذلك قالوا: «المراد بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب».

وقد تكلم كثير من الصحابة في أسباب النزول، وفي مقدمتهم: عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفي تفسير ابن جزي ذكرت لها نماذج من ذلك، وهي:

• قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَّةَ وَرُبْعَ...﴾ الآية. ⁽¹⁾

«قالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: نزلت في أولياء اليتامى الذين يُعجبهم جمال أوليائهم، فيريدون أن يتزوجوهن، ويبخسوهن في الصداق؛ مكان ولا يتهم عليهم، ف قيل لهم: أقسبوا في مهورهن، فمن خاف ألا يقسط، فليتزوّج بما طاب له من الأجنبية اللاتي يوفيهن حقوقهن». ⁽²⁾

• وقوله تعالى: ﴿وَلَسْتَ تُطِيعُونَ أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّفَةِ...﴾ الآية. ⁽³⁾

قال ابن جزي: «معناه: العدل التام الكامل في الأقوال، والأفعال، والمحبة، وغير ذلك، فرفع الله ذلك عن عباده، فإنهم لا يستطيعون، وقد كان رسول الله، ﷺ، يقسم بين نسائه، ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تواخذي بما لا أملك، يعني ميله

(1) النساء، الآية: 2.

(2) التسهيل: 1 / 129. والدر المنثور: 2 / 118.

(3) النساء، الآية: 129.

بقلبه، وقيل: إن الآية نزلت في ميّله، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بقلبه إلى عائشة. ومعناها: اعتذار من الله تعالى عن عباده». (1)

❖ وقوله تعالى: ﴿فَلْأَنْدَعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرْثِ عَلَىٰ أَغْفَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ إِيْتِنَا...﴾ الآية. (2)

قال ابن جزي: «قيل نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، حين كان أبوه يدعوهُ إلى الإسلام، فلا يُجيب. ويُبطل هذا قول عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي». (3)

وعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تنفي بكل شدة قول مروان بن الحكم في سبب نزول آية الأحقاف، وهي:

❖ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالَيْدِيهِ افْعِلْ لَكُمْ آتَعِدَنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْفُرُوزُ مِنْ قَبْلِي...﴾ الآيتان. (4)

قال ابن جزي: «قال مروان بن الحكم: نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، حين كُفِّرهُ، كان أبوه وأُمُّه يدعوانه إلى الإسلام، فيأبى، ويقول لهما: أف». وأنكرت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ذلك، وقالت: «والله، ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن، إلا براءتي. ويُبطل ذلك قطعاً قوله تعالى: ﴿وَلَيْكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ...﴾» (5)؛ لأن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، أسلم، وكان من خيار المسلمين، وكان له في الجهاد غنى عظيم. وقال السُّدِّي: ما رأيتُ أعبد منه، وقال ابن عباس: نزلت في ابن

(1) التسهيل: 1/ 159-160. وانظر الحديث في البخاري: 3/ 263. عن غير عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو عنها في: الدر المنثور: 2/ 233، والمعجم الصغير: 2/ 119. عن عائشة أيضاً فيما نقله عن مسند أحمد، والأربعة، والحاكم في المستدرک.

(2) الأنعام، الآية: 71. وانظر سبب نزولها في: (الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي) ج: 7/ 18-19. وقارنه بما في الجزء: 16/ 197-198.

(3) التسهيل: 2/ 13، البخاري: 3/ 188.

(4) الأحقاف: 17-18.

(5) الأحقاف: 18.

لأبي بكر، ولم يُسمَّه. ويردُّ ذلك: ما ذكرناه عن عائشة، وقيل: هي على الإطلاق فيمن كان على هذه الصِّفة من الكفر والعقوق لوالديه. ويدل على أنها عامَّة؛ قوله تعالى: ﴿وَلَيْكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ...﴾⁽¹⁾ بصيغة الجمع...⁽²⁾

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾⁽³⁾.

قال ابن جزى: «الإفك: أشد الكذب. ونزلت هذه الآية، وما بعدها إلى تمام ستة عشر آية، في شأن سيدتنا عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفي براءتها ممَّا رماها به أهل الإفك، وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة: برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها، وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه، وبرأ مريم بكلام ولدها في حجرها، وبرأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن في شأنها.

»ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى في الاعتناء بها، والكرامة لها، والتشديد على من قذفها. وقد خرَّج حديث الإفك: البخاري، ومسلم وغيرهما...»⁽⁴⁾

ثم ساق ابن جزى مختصراً عن حديث الإفك، ذكرت فيه عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إحدى عشرة مرة، منها ما جاء في قول النبي، ﷺ، لَمَّا بلغه ما قال أهل الإفك، قال: «ما بال رجال، رموا أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً (يعني: صفوان بن المعطل) ما علمتُ عليه إلا خيراً، وسأل جارية عائشة، فقالت: والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ عن تبرالذهب الأحمر»⁽⁵⁾، ومنها ما جاء في الآية:

• قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾⁽⁶⁾.

(1) الأحقاف: 18.

(2) التسهيل: 4 / 43. وانظر البخاري: 3 / 188 (ما نزل في أبي بكر...) والرد على مروان بن الحكم.

(3) سورة: النور، الآيات: 11-26.

(4) التسهيل: 3 / 61.

(5) نفسه: 3 / 61. وانظر البخاري: 2 / 99. ج: 3 / 37-41، ومختصرافي: 3 / 143، 163. ج:

4 / 156، 308. وانظر مسلم: 8 / 113-119.

(6) النور: 12.

قال ابن جزى: «لولا-هنا- عَرَضُ. والمعنى أنه كان ينبغي للمومنين والمومنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد في حقهم، فهو في حق عاتشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أبعد لفضلها.

«وروي أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري، فقال لزوجته: أكنّنت أنتِ تفعلين ذلك؟ قالت: لا، والله، قال: فعاتشة أفضل منك؟ قالت: نعم»⁽¹⁾، ومنها ما جاء في الآية:

﴿قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَلِيلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾...⁽²⁾

قال ابن جزى: «هذا الوعيد للقاذفين لعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولذلك لم يذكر فيه توبة. قال ابن عباس: كل مذب تقبل توبته، إذا تاب، إلا من خاض في حديث عائشة. وقيل: الوعيد لكل قاذف. والعذاب العظيم: يحتمل أن يريد به الحد، أو عذاب الآخرة»⁽³⁾. ومنها ما جاء في الآية:

﴿قوله تعالى: وَالْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾...⁽⁴⁾

ذكر ابن جزى لهذه الآية ثلاثة معان، وكلها في الردّ على أهل الإفك، إلا أن الثاني، والثالث من تلك المعاني ذكرها بصيغة «التبرّي»: «وقيل».

فالمعنى الأول: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال. والنبي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أطيب الطيبين، فزوجته-إذا- أطيب الطيبات.

(1) التسهيل: 61 / 3.

(2) النور: 23.

(3) التسهيل: 63 / 3. لم أقف على قول ابن عباس بهذا اللفظ. وإنما وجدت قول ابن عباس في الدر المنثور:

5 / 21 كما يلي: وأخرج ابن المنذر، وابن جرير، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس في قوله تعالى: (ولا

تقبلوا لهم شهادة أبدا) ثم قال: (إلا الذين تابوا) قال: فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل).

أقول: والشهادة شيء، وإبقاء الذنب أو مغفرته شيء آخر في مشيئة الله تعالى.

(4) النور: 26.

والمعنى الثاني: الخبيثات من الأعمال، للخبيثين من الناس، والطيبات من الأعمال، للطيبين من الناس.

والمعنى الثالث: الخبيثات من الأقوال، للخبيثين من الناس. وهم أهل الإفك؛ أي إن أقوالهم الخبيثة لا يقوؤها إلا خبيث مثلهم.

والإشارة بقوله: ﴿وَأَنذِرْكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ...﴾⁽¹⁾ إلى الطيبين والطيبات، والضمير في (يقولون) للخبيثات والخبيثين. والمراد: تبرئة عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مما رُمِيَتْ به.⁽²⁾

ومنها ما جاء في أحد معني الآية:

• قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّفِينِ﴾⁽³⁾.

قال ابن جزِّي: (مُبيِّنات) بفتح الياء المشددة، أي واضحات بيَّنها الله، وبالكسر، مُبيِّنات للأحكام، والحلال والحرام. (وَمَثَلًا) يعني ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا؛ لأنه كان حراماً في كل ملة، أو في براءة عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كما برأ يوسف، ومريم.⁽⁴⁾

• قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾⁽⁵⁾.

قال ابن جزِّي: «سببها: أن بعض الناس قالوا: لو مات رسول الله، ﷺ، لتزوَّجت عائشة، فحرَّم الله على الناس تزوُّج نسائه بعده، كرامة له، صلى الله عليه وآله وسلم».⁽⁶⁾

(1) من آية: «النور»: 26.

(2) التسهيل: 3 / 63.

(3) النور: 34.

(4) التسهيل: 3 / 67.

(5) من آية: الأحزاب: 53. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل همَّ أن يتزوج بعض نساء النبي، ﷺ، بعده، ويعني بذلك عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأنزل الله تعالى تحريم ذلك؛ لما فيه من الإذابة للنبي، ﷺ، ولأن أزواجه أمهات المؤمنين، وهن أزواجه في الدنيا والآخرة. الدر المنثور: 5 / 214-215.

(6) التسهيل: 3 / 143.

❖ قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾⁽¹⁾ قالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنت حاضرة، وكانت بعض كلام «خولة يخفى عليّ، وسمع الله كلامها، ونزل القرآن في ذلك، فبعث رسول الله، ﷺ، إلى زوجها، وقال له: أتعتق رقبة؟...»⁽²⁾، والآية تقدمت في: «محرور التوحيد».

❖ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁽³⁾ الذين نهوا عن النجوى، ونزلت فيهم الآية، هم اليهود، وقيل نزلت في المنافقين.

قال ابن جزى: والأحسن أن المراد اليهود والمنافقون معا. وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ...﴾ فقد كانت اليهود يأتون رسول الله، ﷺ، فيقولون: «السَّام عليك، يا محمد! بدلا من «السلام عليكم». و «السَّام»: الموت، وهو ما أرادوه بقولهم، وكان رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، يقول لهم: وعليكم. فسمعتهم عائشة يوما، فقالت: بل عليكم السَّام، واللعنة. فقال رسول الله، ﷺ: مهلاً يا عائشة، إن الله يكره الفحش والتفحش. فقالت: أما سمعت ما قالوا؟ قال: أما سمعت ما قلت لهم؛ إني قلت: وعليكم. ويريد بقوله: ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَلِإِلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَبْصَطَهُ﴾⁽⁴⁾.

(1) المجادلة، الآية: 1.

(2) التسهيل: 3 / 63. وانظر البخاري: 4 / 275، والدر المنثور: 6 / 179.

(3) المجادلة: 8. نزلت هذه الآية في شأن يهود كانوا يتناجون بالآثم والعدوان، ويتآمرون على النبي، ﷺ، والمسلمين، وكانوا يحبون النبي، ﷺ، بقولهم: السَّام عليك يا أبا القاسم، فقالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وعليكم السَّام واللعنة. انظر نحية اليهود للنبي، ﷺ، ورد عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عليهم بكل حزم وصرامة. مع قول النبي، ﷺ: يا عائشة، إن الله لا يحب الفحش... في: (الدر المنثور): 6 / 184.

(4) التسهيل: 4 / 103. والآية من سورة: النمل: 59.

المحور السادس: الناسخ والمنسوخ.

ونأخذ نموذجاً من سورة: «المزمل» المكية، حيث نجد فيها ثلاثة أقوال لعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قول يتعلق باسم السورة: «المزمل»، وقول يتعلق بحكم قيام الليل ومسألة النسخ، وقول يتعلق بالمدة التي بقي فيها قيام الليل فرضاً إلى أن صار تطوعاً. قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَتَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ فِيمَ إِلِيلَ إِلَّا قَلِيلًا...﴾⁽¹⁾

قال ابن جزى: «في تسمية النبي، ﷺ، بالمزمل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان في وقت نزول الآية متمزلاً في كساء، أو لحاف. والتزمل: الالتفاف في الثياب بضم وتشمير، هذا قول عائشة، والجمهور. والثاني: أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة. والثالث: أن معناه: المتزمل للنبوّة؛ أي المتشمر، المجدّ في أمرها، والأول هو الصحيح؛ لما ورد في البخاري ومسلم...»⁽²⁾

قوله تعالى: ﴿فَمِ الْإِيلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽³⁾. قال ابن جزى: «هذا الأمر بقيام الليل، اختلف فيه: هل هو واجب، أو مندوب، فعلى القول بالندب، فهو ثابت غير منسوخ، وأما على القول بالوجوب، ففيه ثلاثة أقوال.

«أحدها: أنه فرض على النبي، ﷺ، وحده، ولم يزل فرضاً عليه حتى توفي.

«الثاني: أنه فرض عليه، وعلى أمته، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم نسخ بقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي إِلِيلَ...﴾⁽⁴⁾ وصار تطوعاً. هذا قول عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو الصحيح.

«واختلف كم بقي فرضاً؛ فقالت عائشة: عاماً، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: عشرة أعوام. فالآية الناسخة، على هذا، مدنية.

(1) المزمل: 1، 2.

(2) التسهيل: 4 / 156.

(3) المزمل: 2.

(4) المزمل: 20.

❖ وقوله تعالى: ﴿بَأَمَّا الَّذِينَ فِي فَلْوِبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١) قد وصف بالزيف الذين يتعلقون بمحاولة معرفة المتشابه؛ لأن غاية ما يمكن أن يتوصلوا إليه هو القول بالظن، وهو مذموم شرعاً، منهى عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَفُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٢)، وخاصة أنه يبين هدف من يتبع المتشابه، وهو: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (٣) فيحمله على محامل لم يردّها الله ﷻ، ولم يكلفه بها، وهو وحده يعلم تأويل المتشابه الذي جعله اختباراً لعقيدة وعُبودية عباده.

ويكفي في التفسير من التمسك بتبع المتشابه: أن مادة: «زيغ» التي احتضنت موضوع: «المتشابه» تكررت -هنا- بدءاً، وختاماً.

ولأجل التحرّج والتحري في مسألة المتشابه كان شعار السلف الصالح، رضوان الله عليهم، يقولون في فواتح السور، وما في معناها: «الله أعلم بمراده».

وهناك من العلماء من يرى أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه. ومنشأ الخلاف بين الفريقين: الهانعين، والمُجِيزِينَ يَكُمْنُ في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (٤) فمن رأى أن الواو الأولى في ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ لاستئناف جملة جديدة، وكلمة وكلمة «الراسخون» مبتدأ مقطوع مما قبله تبين المعنى عنده: أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يقولون: آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته. (٥)

(1) آل عمران: 7، 8.

(2) الإسراء: 36.

(3) من الآية: 7، لآل عمران.

(4) من الآية: 7، لآل عمران.

(5) انظر: التسهيل: 1 / 100.

ومن يرى أن الواو للعطف، و«الراسخون» معطوفة على اسم الجلالة: «الله» يكون المعنى عنده: أنهم يعلمون تأويله. وكلا القولين مروى عن ابن عباس. والقول الأول، قول أبي بكر الصديق، وعائشة، وعروة ابن الزبير، وهو أرجح⁽¹⁾.

وقد جمع ابن عطية - رَحِمَهُ اللَّهُ - في فهم دقيق، بين قولي ابن عباس في توجيه معاني الآية، قال: «المتشابه نوعان: نوع انفرد الله بعلمه، ونوع يمكن وصول الخلق إليه؛ فيكون «الراسخون» ابتداءً بالنظر إلى الأول، وعطفاً بالنظر إلى الثاني»⁽²⁾ وهذا ما وضحته آنفاً، (ولله عاقبة الأمور).⁽³⁾

المحور الثامن: التفسير.

التفسير لغة: التوضيح والبيان، واصطلاحاً: بيان ألفاظ القرآن ومعانيه، وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾⁽⁴⁾.

قال ابن جزّي: «معنى الآية: لا يُوردون عليك سؤالاً، أو اعتراضاً إلا أتيناك في جوابه بالحق، والتفسير الحسن؛ الذي يُذهب اعتراضهم، ويُبطل شبهتهم»⁽⁵⁾.

ووقع اختلاف كبير بين علماء التفسير: هل يوجد بين «التفسير» و«التأويل» ترادف، أو تخالف؟ ولا يسمح المقام - هنا - ببسط ذلك كله، مع العلم أن مؤدّى كل منهما هو الوصول إلى الحقيقة؛ سواء في الألفاظ، أو المعاني، أو ما يؤول إليه الأمر.

والمصدر الأول لتفسير القرآن الكريم: هو القرآن نفسه، وذلك بعدة طرق، منها جمعُ الأشباه والنظائر، ثم تفسير النبي، ﷺ، ولكن العلماء قد اختلفوا أيضاً؛ هل كان تفسيره للقرآن كله، أو لبعضه، وهنا تأتي شهادة عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن مقدار ما فسره

(1) انظر: التسهيل: 1 / 100.

(2) نفسه.

(3) الحج: 41.

(4) الفرقان: 33.

(5) التسهيل: 3 / 78.

النبي، ﷺ، من القرآن، إذ تقول: «ما كان رسول الله، ﷺ، يُفسّر شيئاً من القرآن إلاّ آياً بعدد علمه إياهن جبريل». (1)

قال السيوطي بعد إيراد حديث عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «هو حديث منكر، كما قاله ابن كثير، وأوله ابن جرير، وغيره على أنها إشارات إلى آيات مشكلات؛ أشكلن عليه، فسأل الله علمهنّ، فأنزله إليه على لسان جبريل». (2)

قال ابن جزي: «وتأول المفسرون حديث عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بأنه في مغيبات القرآن التي لا تُعلم إلا بتوقيف من الله تعالى». (3) وذهب الزركشي إلى أن النبي، ﷺ، لم يسمع منه إلا القليل من التفسير، قال: «أمّا القرآن، فتفسيره على وجه القطع لا يُعلم إلا بأن يُسمع من الرسول، ﷺ، وذلك متعذر، إلا في آيات قلائل». (4)

ومن مرويات ابن جزي عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في التفسير: ما ذكره في الآيات الآتية:
 * قوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (5) قال ابن جزي، بعد أن ذكر عدة أقوال في معنى الآية: «والظاهر أن المعنى: اذكر ربك إذا نسيت ذكره، أي ارجع إلى الذكر، إذا غفلت عنه واذكره في كل حال، ولذلك قالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه». (6)

(1) قول عائشة، هذا، اختلفت رواياته في المراجع التي ذكرته، ولا يخلو جلّها من تحريف؛ فهو في: (التسهيل: 9 / 1): «ما كان رسول الله، ﷺ، يفسر من القرآن الآيات، إلا بعد علمه إياهن من جبريل». وهو في: (مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد)؛ للهيتمي: ج: 6 / 303، فيما رواه أبو يعلى، والبرّار: «عن عائشة أن النبي، ﷺ، كان لا يفسر شيئاً من القرآن برأيه، إلا آياً بعدد علمه إياهن جبريل». وهو في: (الإتقان في علوم القرآن)؛ للسيوطي: 4 / 258: «ما كان رسول الله، ﷺ، يفسر شيئاً من القرآن، إلا آياً بعدد علمه إياهن من جبريل».

(2) الإتقان: 4 / 258.

(3) التسهيل: 1 / 9.

(4) البرهان في علوم القرآن: 1 / 16.

(5) من آية: الكهف: 24.

(6) التسهيل: 2 / 186. والحديث في المعجم الصغير: 2 / 117. عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وهو حديث صحيح فيما أخرجه السيوطي: عن مسلم، وأبي داود، والترمذي، وابن ماجه.

❖ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (1).

قال ابن جزى: «قيل معناه: يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، وقيل إنه عام في جميع أفعال البر، أي يفعلونها، وهم يخافون ألا تقبل منهم. وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أنها قرأت (يأتون ما آتوا) بالقصر، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيراً لهذه القراءة، وقيل: إنه عام في الحسنات، والسيئات: أي يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله. (2)

❖ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَبِزٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ...﴾ (3).

في الآية تأديب عظيم للضيف إزاء مُضيفه، ولها سببان لنزولها:

أولهما: «ما رواه أنس أن رسول الله، ﷺ، لما تزوج زينب بنت جحش، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أولم عليها، فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت، فثقل ذلك على النبي، ﷺ، فخرج ليخرجوا بخروجه، ومرّ على حُجْر نساءه، ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف، فخرجوا عن ذلك. (4)

وثانيهما: «قال ابن عباس: نزلت في قوم كانوا يتحینون طعام النبي، ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام، فيقعدون إلى أن يطبخ، ثم ياكلون ولا يخرجون، فأمروا ألا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا..» (5)

(1) المؤمنون، الآية: 60، والسياق يتبدى من الآية: 57.

(2) التسهيل: 3 / 52-53. وانظر الدر المنثور: 5 / 11-12.

(3) الأحزاب، الآية: 53.

(4) التسهيل: 3 / 142.

(5) نفسه. وانظر البخاري: 4 / 281، مسلم: 4 / 149، 150، 151، 152.

وفي الجمع بين السَّيِّبَيْنِ حُكْمَانِ تَضَمَّنَتْهُمَا الْآيَةُ مَعًا، وهما: النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، والنهي عن القعود بعد الأكل.

قال ابن جزي في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا﴾⁽¹⁾: «أمرٌ بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها» ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ أي انصرفوا. قال بعضهم: هذا أدبٌ أدَّبَ الله به الثقلاء. وقالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «حسبك من الثقلاء: أن الله لم يحتلمهم».⁽²⁾

• قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ قَالَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾⁽³⁾.

قال ابن جزي، مُعَرِّفًا بالوارثين، والموروث: «يعني أمة محمد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والتَّوْرِيثُ: عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم (فمنهم ظالم لنفسه..). قال عُمَرُ، وابنُ مسعود، وابن عباس، وكعب، وعائشة، وأكثر المفسرين: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فالظالم لنفسه: العاصي، والسابق: التَّقِيُّ، والمقتصد بينهما».⁽⁴⁾

• قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفْتَلُوا إِلَيْهِ تَبْغِي حَتَّىٰ تَهْجَأَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ...﴾⁽⁵⁾.

قال ابن جزي في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفْتَلُوا إِلَيْهِ تَبْغِي...﴾: «أمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية، وذلك إذا تبين أنها باغية، فأما الفتن التي تقع بين المسلمين، فاختلف العلماء فيها على قولين:

(1) الأحزاب، من الآية: 53.

(2) التسهيل: 3 / 142. وفي الدر المنثور: 5 / 214: وأخرج ابن أبي حاتم عن سليمان ابن أرقم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قوله: (ولا مستأنسين لحديث) قال: نزلت في الثقلاء.

(3) فاطر، الآية: 32.

(4) التسهيل: 3 / 158.

(5) الحجرات، الآية: 9.

«أحدهما: أنه لا يجوز النهوض في شيء منها، ولا القتال، وهو مذهب سعد بن أبي وقاص، وأبي ذرٍّ، وجماعة من الصحابة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وحثهم قول رسول الله، ﷺ: قتال المسلم كُفر، وأمرُهُ، عليه الصلاة والسلام، بكسر السيوف في الفتن.⁽¹⁾»

«والقول الثاني: أن النهوض فيها واجب؛ لتكفَّ الطائفة الباغية، وهذا قول عليٍّ، وعائشة، وطلحة، والزبير، وأكثر الصحابة، وهو مذهب مالك، وغيره من الفقهاء، وحثهم: هذه الآية.⁽²⁾»

❖ قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.⁽³⁾

تقدمت الآية في: «محور التوحيد»، وتذكر هنا إيضاحات أخرى، حولها عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، نزلت الآية في خولة بنت حكيم، وقيل: خولة بنت ثعلبة، وقيل: خولة بنت خويلد، وقيل: اسمها: «جميلة»، كانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري. ظاهر منها زوجها، وكان الظَّهَار في الجاهلية يوجب تحريماً مؤبداً، فجاءت تشتكي إلى الله وتحاور النبي، ﷺ، في شأنها وتراجعه الكلام.

قالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنت حاضرة، وكان بعض كلام خولة يخفى عليَّ، وسمع الله كلامها، ونزل القرآن في ذلك، فبعث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، إلى زوجها، وقال له: أتعتق رقبة؟ فقال: والله، ما أملكها، فقال: أتصوم شهرين متتابعين؟ فقال: والله ما أقدر، فقال له: أَتُطْعِم ستين مسكينا؟ فقال: لا أجِدُ، إلا أن يُعينني رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بمعونة وصلاة، يُريد: الدعاء. فأعانه رسول الله، ﷺ، بخمسة عشر صاعاً، وقيل: بثلاثين صاعاً، ودعا له، فكفر بالإطعام، وأمسك زوجته.⁽⁴⁾»

(1) البخاري: 4 / 57، المعجم الصغير: 2 / 30 بروايتين صحيحتين معا عن جماعة من الصحابة.

(2) التسهيل: 4 / 59.

(3) المجادلة، الآية: 1.

(4) التسهيل: 4 / 101. وانظر البخاري: 4 / 275.

❖ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَتُ مَهْجِرَاتٍ قَامَتْحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَغْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ...﴾⁽¹⁾.

ابن جزى - رَحِمَهُ اللَّهُ - ساق ثلاثة أقوال في هذا الامتحان، ويذكر قول عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في ذلك. قال في: ﴿قَامَتْحِنُوهُنَّ﴾: «أي اختبروهن؛ لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مومنات؛ لظاهر حالهن. وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تستحلف المرأة؛ أنها ما هاجرت لبغضها في زوجها، ولا لخوف، وغير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله، والدار الآخرة.

والثاني: أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

والثالث: أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا: من ترك الإشراك، والسرقة، وقتل أولادهم، وترك الزنا، والبهتان، والعصيان، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها. قالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.⁽²⁾

❖ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكِ الْمُؤْمِنَتُ يُبَايِعُنَكَ...﴾⁽³⁾.

قال ابن جزى: «هذه البيعة؛ بيعة النساء في ثاني يوم الفتح، على جبل: «الصفاء»، وكان رسول الله، ﷺ، يبايعهن بالكلام، ولا تمس يده امرأة. وَرَدَ هذا في الحديث الصحيح، عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ورُوي أنه، ﷺ، لَفَّ على يده ثوباً كثيفاً، ثم لَمَسَ النساءَ يَدَهُ كَذَلِكَ، وقيل: إنه غمس يده في إناء، فيه ماء، ثم دفعه إلى النساء، فغمسن أيديهن فيه».⁽⁴⁾

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁵⁾.

(1) المتحنة، الآية: 10.

(2) التسهيل: 4 / 114.

(3) المتحنة، الآية: 12.

(4) التسهيل: 4 / 116. وانظر البخاري: 3 / 200، 275، والمعجم الصغير: 2 / 118، وما سَتَّ يده،

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يد امرأة قط.

(5) القلم، الآية: 4.

قال ابن جزّي: «هذا ثناء على خلق رسول الله ﷺ. قالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان خلق رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم: القرآن»⁽¹⁾ تعني التأدّب بآدابه، وامتثال أوامره. وعَبَّرَ ابن عباس عن الخُلُق بالدين والشرع، وذلك رأس الخُلُق.

«وتفصيل ذلك: أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، جَمَعَ كل فضيلة، وحاز كل خصلة جميلة؛ فمن ذلك: شرفُ النَّسَب، ووفور العقل، وصحّة الفهم، وكثرة العلم، وشدة الحياء، وكثرة العبادة، والسَّخاء، والصدّق، والشجاعة، والصَّبْر، والشكر، والمروءة، والتَّوَدُّد، والاقتصاد، والزهد، والتواضع، والشفقة، والعدل، والعفو، وكظم الغيظ، وصلة الرَّحِم، وحسن المعاشرة، وحسن التدبير، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، وحُسن الصورة، وغير ذلك، حسبما ورد في أخباره وسيره، صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مكارم الأخلاق»⁽²⁾.

وعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لما قالت: «كان خلقه القرآن» كانت تنظر إلى هذه الأخلاق كلها، وإلى غيرها مما شاهدته، وعلمته من الرسول، ﷺ، ولم نشاهده نحن، ولم نعلم إلا اليسير منه.

❖ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ۖ لَآتِي أَمَّا السَّاعَةُ فَبَلَغَتْ أَهْلُهَا عِلْمَهَا ۖ إِنَّمَا يَذْكُرُهَا إِلَهِی رَبِّكَ مُنتَهِيهَا ۖ...﴾⁽³⁾ كان النبي، ﷺ، كثيراً ما يسأل عن الساعة، لشدة تعلقه بالله ﷻ، وسؤاله لجبريل، عليه السلام، يُفصَح عن ذلك في حديث عُمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المشهور: «أخبرني عن الساعة»⁽⁴⁾. قال جبريل عليه السلام: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» وقد فُسِّرَ النبي، ﷺ، هذه الآية عملياً بسكوته عن

(1) انظر المعجم الصغير: 2 / 111، ورمز له بعلامة الصحة عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وفي النهاية/ خلق: (أي كان متمسكاً بآدابه، وأوامره، ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطف).

(2) التسهيل: 4 / 137. والحديث صحيح في الجامع الصغير: 1 / 103، بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

(3) النازعات: 42-46.

(4) هذا طرف من حديث، أخرجه البخاري في صحيحه في: (باب سؤال جبريل النبي، ﷺ، عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة) ج: 1 / 18-19، 3 / 173.

ذكر الساعة، مفوضاً علمها إلى الله ﷻ. قالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول الله، ﷺ، يسأل عن الساعة كثيراً، فلما نزلت هذه الآية انتهى»⁽¹⁾.
 قوله تعالى: ﴿بِمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾⁽²⁾.

قال ابن جزيّ: «رُوي عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها تصدّقت بحبة عنب، ف قيل لها في ذلك. فقالت: كم فيها من مثقال ذرة»!⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾⁽⁴⁾ إلى آخر السورة⁽⁴⁾ تسمى هذه السورة سورة: «النصر»، وقال ابن مسعود: تسمى هذه السورة: سورة: «التوديع»⁽⁵⁾. وسأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة عن معنى هذه السورة، فقالوا إن الله أمر نبيه، ﷺ، بالتسبيح والاستغفار عند حصول النصر والفتح، وذلك ما يُوخذ من ظاهر الألفاظ، فقال عمر لابن عباس، وهو أصغر من حضر من الصحابة مجلسه: يا عبدالله، ما ذا تقول أنت؟ قال: هو أجل رسول الله، ﷺ، أعلمه الله بقربه، إذا رأى النصر والفتح. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما علمت.

قال ابن جزيّ: وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره، ويؤيده قول عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إن رسول الله، ﷺ، لما فتح مكة، وأسلم العرب، جعل يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم إني أستغفرك» يتأول القرآن، أي هذه السورة. وقال لها مرة: ما أراه إلا حضور أجلي. وقال ابن عمر: نزلت هذه السورة بمنى؛ أيام التشريق، في حجة الوداع، وعاش رسول الله، ﷺ، بعدها ثمانين يوماً، أو نحوها»⁽⁶⁾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاصِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾⁽⁷⁾ أورد ابن جزيّ في معنى: «غاسق» ثمانية أقوال، وذكر في أولها: أنه الليل، إذا أظلم، قال: ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَى غَسَقِ

(1) التسهيل: 4 / 177. والحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور: 6 / 314.

(2) الزلزلة، الآية: 7.

(3) التسهيل: 4 / 213. انظر الدر المنثور: 6 / 382.

(4) سورة: «النصر» بآياتها الثلاث.

(5) انظر: التحرير والتنوير. ج: 30 / 595.

(6) التسهيل: 4 / 177. وانظر البخاري: 2 / 284، 3 / 63، 91.

(7) الفلق، الآية: 3.

أَنْبِلُ⁽¹⁾، والقول الثاني: أنه القمر، واستدل عليه بما خرَّجه النسائي: أن رسول الله ﷺ رأى القمر، فقال: يا عائشة، استعيزي بالله من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب، ووقوبه هذا: كُسُوفُهُ.⁽²⁾

المحور التاسع: الحديث.⁽³⁾

يحتوي تفسير ابن جزّي على مجموعة من الأحاديث النبوية، المروية عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أو التي وردت في شأنها، توجد موزعة على المحاور، خلال هذا البحث، منها:

- ✽ حديث ابتداء نزول الوحي، الذي قالت فيه: «جاءه الملك، وهو بغار حراء...».⁽⁴⁾
- ✽ حديث: «ما كان رسول الله ﷺ يُفسّر شيئاً من القرآن، إلا آيات، علّمه إياهنّ جبريل».⁽⁵⁾
- ✽ حديث: «الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة...».⁽⁶⁾
- ✽ حديث: «كان رسول الله ﷺ، يذكر الله على كل أحيانه».⁽⁷⁾
- ✽ حديث: كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ، فيقولون: «السّام عليك، يا محمد...»!⁽⁸⁾
- ✽ حديث: «مهلاً يا عائشة، إن الله يكره الفُحش والتّفحّش...».⁽⁹⁾
- ✽ حديث: بيعة النساء: «كان رسول الله ﷺ، يبايعهن بالكلام، ولا تمس يده يد امرأة...».⁽¹⁰⁾

(1) من آية الإسرائ: 78.

(2) التسهيل: 4 / 225. انظر الحديث في الدر المنثور: 6 / 418.

(3) ذكرت في هذا المحور بعض النماذج الحديثية التي مرّت، محرّجة مع غيرها أثناء البحث، فلا حاجة إلى إعادة تخريجها مرة أخرى.

(4) التسهيل: 1 / 4، وانظر: 4 / 208.

(5) التسهيل: 1 / 9، وانظر: «محور التفسير».

(6) التسهيل: 1 / 14.

(7) التسهيل: 2 / 186.

(8) التسهيل: 4 / 103.

(9) نفسه.

(10) نفسه: 4 / 116.

- ✽ حديث: «كان خُلِقَ رسول الله، ﷺ: القرآن». (1)
- ✽ حديث: كان رسول الله، ﷺ، يسأل عن الساعة كثيراً، فلما نزلت هذه الآية انتهى». (2)
- ✽ حديث: «من نُوقِش الحساب عُدِّب..». (3)
- ✽ حديث: «إن رسول الله، ﷺ، لَمَّا فتح مكة، وأسلم العرب، جعل يكثر أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم إني أستغفرك..». (4)
- ✽ حديث: «يا عائشة، استعيزي بالله من شرِّ هذا، فإنه الغاسق إذا وقب» يعني: القمر. (5)

المحور العاشر: الفقه.

عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، جمعت بين الحفظ، والفهم، وكثرة المرويات، وفقه النصوص، وفقه الواقع، والحدق في تكييف الأحكام، وحسن تنزيلها على الوقائع والأحداث، دون الإخلال بروح النصوص الشرعية.

كل هذه العوامل، وغيرها كثير، أهلتها أن تكون أفقه نساء هذه الأمة، ولا ينازع في ذلك إلا عاق لأمة، جاحد لفضلها، وعلمها، ومكانتها المجمع عليها في الأمة الإسلامية.

ولله در القائل:

إِذَا رَضِيتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لَأُمُّهَا
فقه عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزخر به كتب التفسير، وكتب الحديث، وكتب الفقه، وكتب الفتاوي والنوازل وغيرها..

وقد تضمن تفسير ابن جزري نماذج من ذلك.

(1) نفسه: 4 / 137.

(2) تعني آية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا﴾، انظر التسهيل: 4 / 177.

(3) نفسه: 4 / 187.

(4) نفسه: 4 / 221.

(5) نفسه: 4 / 225.

❖ قالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾⁽¹⁾:
الأقراء، هي الأطهار، ويقولها قال الإمامان: مالك، والشافعي، وحمله أبو حنيفة
على الحيض. ومعلوم أن اختلاف القولين، ينتج عنها الاختلاف في الحكم
الشرعي.⁽²⁾

❖ قولها في قَصْر الصلاة الرباعية، جاء في الآية: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾⁽³⁾

قال ابن جزى: «اختلف العلماء في تأويلها على خمسة أقوال:

أولها: أنها في قصر الصلاة الرباعية، إلى ركعتين في السفر، ولذلك لا يجوز إلا في
حال الخوف، على ظاهر الآية، وهو قول عائشة، وعثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الثاني: أن الآية تقتضي ذلك، ولكن يُوْخَذُ القصر في السفر، دون الخوف، من
السنة، فالقصر دون خوف: «صدقة، تصدَّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»، كما في
الحديث.⁽⁴⁾

❖ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.⁽⁵⁾

حُكْمُ قاذف عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يتضاعف مرتين وهو: العذاب الأليم؛ في الدنيا،
والآخرة. قال ابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كل مذنب تقبل توبته إذا تاب، إلا من خاض في
حديث عائشة».⁽⁶⁾

(1) البقرة، الآية: 228.

(2) التسهيل: 1 / 81.

(3) النساء، الآية: 101.

(4) التسهيل: 1 / 154-155. والحديث في المعجم الصغير: 2 / 44 بنصه مروي عن عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وخرَّجه البيهقي، والأربعة، ولم يرمز له السيوطي بشيء.

(5) النور، الآية: 19.

(6) التسهيل: 3 / 62-63.

❖ وقالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في شأن إبداء الزينة، ولمن يجوز إبدائها، في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ...﴾⁽¹⁾ الآية.

❖ قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾.⁽²⁾ قال ابن جزي: «يدخل في ذلك الإماء المسلمات، والكتابات، وأما العبيد، ففيهم ثلاثة أقوال: منع رؤيتهم لسيدتهم، وهو قول الشافعي، والجواز، وهو قول ابن عباس، وعائشة، والجواز بشرط أن يكون العبد وُغْدًا، وهو مذهب مالك، وإنما أخذ جوازه من قوله: ﴿أَوْ اتَّبَعِينَ غَيْرَ»⁽³⁾ وَلِي إِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ...»⁽³⁾.

وعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ترى وجوب كف الطائفة الباغية، إذا اقتتل طائفتان من المسلمين، ولم ترجع الطائفة الباغية عن غيها وضلالها، وذاك منطوق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفُتِّلُوا إِلَىٰ تَبَعٍ حَتَّىٰ تَفِجَءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ...﴾⁽⁴⁾ وهو قول: علي، وعائشة، وعائشة، وطلحة، والزبير، وأكثر الصحابة، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء، وحجتهم هذه الآية. ورأت جماعة أخرى أنه لا يجوز النهوض في الفتن، ولا القتال، وهو مذهب سعد بن أبي وقاص، وأبي ذر، وجماعة من الصحابة، وحجتهم قول الرسول ﷺ: «قتال المسلم كفر...»⁽⁵⁾.

❖ وعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، جرت بين يديها، وتحت سمعها، وبصرها قصة الظَّهَار، واستوعبت أحكامها، وحكمها، وما أكثر الأحكام الفقهية الأخرى التي عاشتها مع الرسول ﷺ، وتخرَّجت بها من بيت النبوة!⁽⁶⁾

(1) النور، الآية: 31.

(2) من نفس الآية.

(3) من نفس الآية.

(4) الحجرات، الآية: 9.

(5) التسهيل: 4 / 59. والحديث سبق تخريجه.

(6) انظر قصة: «الظهار»، وما يتعلق بها في أول سورة: «المجادلة» في: (التسهيل: 4 / 101).

وقد أفتت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في مسألة تحريم الزوجة بكفارة يمين. جاء في مطلع سورة التحريم: «يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لَمَ تَحْرِمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلِيكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾»⁽¹⁾.

لا حاجة بنا إلى ذكر سبب النزول، فهو معروف، وإنما الخلاف: هل حَرَّمَ النبي، ﷺ، على نفسه سُرِّيَّتَهُ؛ أي جاريته: «مارية القبطية»، أو حَرَّمَ على نفسه العَسَل، فهما روايتان. وقد عاتبه الله تعالى على أن يُضَيِّقَ على نفسه بتحريم الجارية، أو تحريم العسل، وَلِفَقْهِ التحريم ثلاث صور: تحريم الطعام، وما إليه، وتحريم الأمة، وتحريم الزوجة.

قال ابن جزي: «ولنتكلم على فقه التحريم، فأما تحريم الطعام، والهمال، وسائر الأشياء، مَا عَدَا النساء، فلا يلزم، ولا شيء عليه عند مالك، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة، وأما تحريم الأمة، فإن نَوَى به العتق لَزِمَ، وإن لم يَنْوِ به ذلك، لم يَلْزَمْ، وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام، وأما تحريم الزوجة، فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة؛ فقال أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وابن عباس، وعائشة، وغيرهم: إنها يلزم فيه كفارة يمين، وقال مالك، في المشهور عنه: ثلاث تطليقات في المدخول بها، وينوي في غير المدخول بها، فيُحْكَمُ بما نَوَى من طَلَق، أو اثْنَتَيْنِ، أو ثلاث...»⁽²⁾.

ومن فقه عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ما جاء في تفسير قوله تعالى: «فَمِ الْإِلَّ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾»⁽³⁾. «لقد اختلف في هذا الأمر بقيام الليل: هل هو واجب، أو مَنْدُوب، فعلى القول بالنَدْب، فهو ثابت غير منسوخ. وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه فَرَضَ على النبي، ﷺ، وخَدَهُ، ولم يزل فرضاً عليه حتى توفي.

(1) سورة: التحريم، الآيتان: 1، 2.

(2) التسهيل: 4 / 130.

(3) المزمّل، الآية: 2.

الثاني: أنه فرض عليه وعلى أمته، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم نسخ بقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي إِلِيلٍ...﴾⁽¹⁾، وصار تطوعاً. هذا قول عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو الصحيح.⁽²⁾

قال القاضي أبو بكر ابن العربي، فيما نقله عن صحيح مسلم وغيره: أن سعد بن هشام بن عامر، قال لعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنبئني عن قيام رسول الله، ﷺ، فقالت: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ﴾! قلت: بلى. قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام النبي، ﷺ، وأصحابه حوْلاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضته...»⁽³⁾.

«واختلف كم بقي فرضاً، فقالت عائشة: عاماً، وقيل ثمانية أشهر، وقيل: عشرة أعوام. فالآية الناسخة، على هذا، مَدْنِيَّةٌ.

«الثالث: أنه فرض عليه، ﷺ، وعلى أمته، وهو ثابت غير منسوخ، ولكن ليس الليل كله، إلا ما تيسر منه، وهو مذهب الحسن، وابن سيرين»⁽⁴⁾.

المحور الحادى عشر: قضايا أنكرتها عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال العلامة محمد الحجوي الثعالبي: عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أعلم نساء الأمة، التي روت لنا شطر الدين، ملأت فتاويها كتب الصَّحاح، بل العالم الإسلامي شرقاً، وغرباً. وكان كبار الصحابة وأعلامهم يستفتونها، ويرجعون لرأيها، وكانت تناظر علماءهم، وتردُّ عليهم؛ فكم من مرَّة رَدَّتْ على أبي هريرة، وعبدالله بن عمر، وابن عباس، وغيرهم...»⁽⁵⁾.

(1) المزمّل: الآية: 20.

(2) التسهيل: 4 / 156. وانظر البخاري: 1 / 199، 200، 201. في: (باب قيام النبي، ﷺ، ونومه، وما نُسخ من قيام الله...).

(3) أحكام القرآن؛ لابن العربي: 4 / 1860، والدر المشور: 6 / 276.

(4) التسهيل: 4 / 156.

(5) الفكر السامي: 1 / 246.

وخير دليل على ذلك: ما اشتمل عليه كتاب الإمام الزركشي: «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة».

وقد سجل الإمام ابن جزى أيضاً نماذج مما استنكرته عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في تفسيره، مع إجابة العلماء عن بعض استنكاراتها:

❖ أنكرت كتابة بعض كتاب المصاحف، في بعض الكلمات القرآنية، واعتبرتها خطأً وخطأً. وقد تقدمت مع الجواب عنها في: «محور اللغة والنحو».

❖ وأنكرت سماع الموتى في القبور، بناء على ظاهر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾⁽¹⁾، واستدلت بها على أن الموتى لا يسمعون، وأنكرت ما ورد في خطاب النبي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَقَتْلَى «بدر»، حين جُعِلُوا في القليب. قال ابن جزى: «ولكن يمكن الجمع بين قولها، وبين الحديث بأن الموتى في القبور، إِذَا رُذِّتْ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى أَجْسَادِهِمْ، سمعوا، وإن لم ترد، لم يسمعوا»⁽²⁾.

❖ وأنكرت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن يكون نزل شيء من القرآن في آل أبي بكر غير براءتها، وتقسم على ذلك، وهي تَرُدُّ بذلك على مروان بن الحكم الذي قال بأن الآية: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِيَا وَيْلَهُ لَقَدْ لَأِيْتَانِي أَنِ أَخْرَجَ...﴾⁽³⁾ نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، حين كُفِّرَ، كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام، فيأبى، ويقول لهما: أف. وقد سبق هذا مفصلاً في: «محور أسباب النزول».

❖ وأنكرت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن يكون الرسول، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رأى ربه، على القول بأنه رأى ربه، وذلك أحد الأقوال الثلاثة في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾⁽⁴⁾.

فالأول: أنه رأى جبريل، بمقدار ملاء الأفق.

والثاني: أنه رأى ملكوت السموات والأرض.

والثالث: أنه رأى ربه.

(1) من آية: فاطر: 22.

(2) التسهيل: 3 / 157.

(3) الأحقاف، الآية: 17.

(4) النجم، الآية: 11.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ...﴾⁽¹⁾ وقالت عائشة: «من زعم أن محمداً رأى ربه، ليلة الإسراء، فقد أعظم الفرية على الله تعالى». ⁽²⁾، وزادت في رواية الحافظ للذهبي: «ولكنه رأى جبريل مرتين في صورته وخلقه، ساداً ما بين الأفق». ⁽³⁾

✽ وأنكرت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تحية اليهود للنبي ﷺ، بقولهم: «السَّامَ عليكم يا محمد!» بدلاً من: «السلام عليكم» التي هي تحية الإسلام، ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ...﴾⁽⁴⁾، فَأَلَقَمَتْهُمْ عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الحجر وردت عليهم الردّ الرادع المناسب: «بل عليكم السَّامُ واللعنة». ⁽⁵⁾

المحور الثاني عشر: بعض أحوال عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

من بركة عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، نزول رخصة التيمم، عند انقطاع عقدها، في غزوة المريسيع؛ حيث أقام الناس على التماسه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأنزل الله الرخصة في التيمم بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمْ تُسْتُمْ الْتِسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽⁶⁾.
فقال أسيد بن حضير: «ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر»⁽⁷⁾.

(1) النجم، الآية: 13.

(2) التسهيل: 4 / 76. وانظر البخاري: 2 / 215، 3 / 193، 4 / 274 مع شاهده، مسلم: 1 / 110.

(3) سير أعلام النبلاء: 2 / 166.

(4) من آية: المجادلة: 8.

(5) انظر: التسهيل: 4 / 103. والحديث سبق تخريجه.

(6) المائدة، الآية: 6.

(7) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب التيمم ج: 3 / 70، ج: 2 / 292، وانظر نحوه في: 2 / 308، 3 / 124، 254، مسلم: 1 / 192.

وسميت هذه الآية آية: التَّيْمُّ، وقد كان الوضوء مشروعاً قبلها، ثابتاً بالسُّنة. (1)
 * آية التخيير، وموقف عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، من مقتضاها. والآية هي: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ فَلَا زَوَاجَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ امْتِغِصْنَ وَأَسْرَحْنَ سَرَاحاً جَمِلاً﴾ (2) وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْراً عَظِيماً﴾ (3).

سبب نزول هاتين الآيتين، كما ذكر ابن جزّي: «أن أزواج رسول الله، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تغايرن، حتى غمّه ذلك، وقيل: طلبن منه الملابس، ونفقات كثيرة...» (4) فأنزل الله هذا التخيير التخيير لنساء النبي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بين متاع الدنيا وزينتها، وبين محبة الله ورسوله والدار الآخرة، «فخيرهن الرسول، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بين الطلاق والمتعة، إِنْ أَرَدْنَ زينة الدنيا، وبين البقاء في عصمته، إِنْ أَرَدْنَ الآخرة، فبدأ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعائشة، فاخترت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرهن في ذلك، فلم يقع طلاق، وقالت عائشة: خيرنا رسول الله، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاخترناه، ولم يعد ذلك طلاقاً». (5)

* آية تُبكي عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، على خروجها يوم الجمل؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (6).

وردت الآية، وما قبلها، وما بعدها في سياق خطاب الله ﷻ لنساء نبيه محمد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما ألزمهن به من التكاليف الشرعية، وبيان فضلهن ومكانتهن على سائر النساء.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ هي من «الوقار»، وقيل: هي من «القرار». قال ابن جزّي: «ومعنى القرار أرجح؛ لأن سودة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قيل لها: لم لا تخرجين؟ فقالت: أمرنا الله

(1) انظر: التسهيل: 1 / 170.

(2) الأحزاب، الآيتان: 28، 29.

(3) التسهيل: 3 / 136.

(4) نفسه: 3 / 136. وانظر البخاري: 3 / 175، 260: قالت عائشة: «ثم أنزل الله تعالى آية التخيير».

وقول عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يوجد حرفياً في البخاري: 3 / 27. وانظر مسلم: 4 / 186، 187، 194، 189. وفي صحيح مسلم: 4 / 189 عُدَّتْ آية التأخير هي: «عسى ربّه؛ إِنْ طَلَفَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكَ».

(5) من آية: الأحزاب: 33.

بأن نَقَرَ في بيوتنا. وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية، تبكي على خروجها أيام الجَمَل. وحينئذ قال لها عمر: إن الله أَمَرَكَ أن تَقْرِي في بيتك»⁽¹⁾.

✽ عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كانت حاضرة قصة المجادلة في زوجها، وتصف ذلك بقولها: «سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنت حاضرة، وكان بَعْضُ كلام خولة يخفى عليّ، وسمع الله كلامها، ونزل القرآن في ذلك...»⁽²⁾.

✽ اتفاق عائشة، وحفصة، وسودة بنت زمعة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، على أن تقول كل منهن للنبي، ﷺ، إذا اقترب منها: «أكلت مَغَافِر» و «المغافير»: صَمَغ «العُرْفُط»⁽³⁾، وهو حلوى، كرية الرائحة، ففعلن ذلك. فقال رسول الله، ﷺ: «لا، ولكنني شربت عسلا»، وقد كان، ﷺ، يدخل على زوجته: زينب بنت جحش، فيشرب عندها عسلا، فقلن له: «جَرَسَتْ نَحْلُهُ «العُرْفُط»»⁽⁴⁾، فقال النبي، ﷺ: «لا أشربه أبداً»⁽⁵⁾.

✽ عائشة، وحفصة، ودورهما في قصة تحريم الجارية، أو العسل. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَسْ أَنْبَأُكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁶⁾.

قال ابن جزي: اختلف في هذا الحديث (الذي أسره النبي، ﷺ)، على ثلاثة أقوال:

(1) التسهيل: 3 / 137. وانظر: قَوْل سودة، وبكاء عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في: الدر المنثور: 5 / 196. وفيه قيل لسودة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مالك لا تحجين، ولا تعتمرين...

(2) التسهيل: 4 / 101.

(3) قال ابن الأثير: المَغَافِر: شيء ينضخه شجر العُرْفُط، حُلُو كالنَّاطِف. ثم قال في حديث عائشة وحفصة: قالت له سودة: «أكلت مَغَافِر» واحداً: مُغْفُور، بضم الميم، وله ريح كريهة مُنْكَرَة. ويقال أيضاً: «المغائر» بالناء المثلثة.. (النهاية في غريب الحديث والأثر/ غفر). وحديث (المغافير) في البخاري: 3 / 271 عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، 4 / 158، مسلم: 4 / 184، 185.

(4) قال ابن الأثير أيضاً في مادة: «عرفط» مُعْلَقاً على هذا الجزء من الحديث: «جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُط»: العُرْفُط، بالضم: شَجَرُ الطَّلَح، وله صَمَغٌ كرية الرائحة، فإذا أَكَلْتَهُ النَحْلُ حصل في عسلها من ريحه. (النهاية في غريب الحديث والأثر): مَادَّة: «عرفط»، ومادة: «غفر».

(5) التسهيل: 4 / 130.

(6) التحريم، الآية: 3.

أحدها: أنه تحريم الجارية، فإنه لما حَرَّمَهَا قال حفصة: لا تخبري بذلك أحداً.

والآخر: أنه قال: إن أبا بكر، وعمر يليان الأمر من بعده.

والثالث: أنه قوله: «شربتُ عسلاً» والأول أشهر. وبعض أزواجه: حفصة، ولكن حفصة نبأت بذلك عائشة، فأطلع الله رسوله، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، على ذلك، فعاتب حفصة، التي ظنَّت أن عائشة هي التي أنبأته، لكنه ﴿قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.⁽¹⁾

ثم خاطب الله، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عائشة وحفصة معاً بقوله: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا...﴾⁽²⁾ أي مالت عن الحق والصواب، ممَّا جرى منها في قصة تحريم الجارية، أو العسل، وهو إجراء يتطلَّبُ التوبة.⁽³⁾

✽ عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والتطبيق العملي للقرآن: ﴿بِمَنْ يَّعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.⁽⁴⁾ رُوي عنها أنها تصدَّقت بحبة عنب، فقيل لها في ذلك. فقالت: كم فيها من مثقال ذرة!

قال ابن جزي، رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذكر الله مثقال الذرة، تنبيهاً على ما هو أكثر منه من طريق الأولى، كأنه قال: من يعمل قليلاً، أو كثيراً... واستدل أهل السنة بهذه الآية: أنه لا يُحْلَدُ مؤمنٌ في النار، لأنه إذا حُلِدَ لم يَرِ ثَوَاباً على إيمانه، وعلى ما عمل من الحسنات».⁽⁵⁾

(1) من نفس الآية.

(2) التحريم، أول الآية: 4.

(3) التسهيل: 4 / 131، وفيه مزيد بيان.

(4) الزلزلة، الآية: 7.

(5) التسهيل: 4 / 213. وانظر البخاري: 2 / 147.

خاتمة

إن الحديث عن مرويات عائشة الصديقية؛ أم المؤمنين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - حديث متشعب الأنحاء، غزير الفوائد، جَمُّ العطاء، اهتم به علماء الأمة الإسلامية على مدى الأمكنة والأزمنة، ولم، ولن يَنْضَبْ معينه، ولا خَفَتْ ضوؤه، وشعاعه المتوقد الوهاج.

عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ركن أساسي، وعمود مركزي من الأعمدة التي نهضت عليها ثقافة الإسلام، وحضارة الإسلام، وأخلاق الإسلام؛ رواية، ودراية...

اهتم بمرويات عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، علماء المشرق والمغرب، وأفادوا من ذخائر فكرها، وكثرة مروياتها المختلفة، المتعددة المشارب، ولم يُشِخْ بوجهه عنها إلا من عصى ربه، وأغضب نبيه، وعقَّ أمته؛ لأن الله تعالى يقول في محكم كتابه المحفوظ بحفظه، المعصوم من كل تحريف بعصمته: (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم).

وقد انصبَّ هذا البحث على المرويات عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في تفسير أحد أئمة التفسير في الغرب الإسلامي: (الأندلس)، وهو الإمام الشهيد أبو القاسم، محمد بن أحمد بن جزى الكلبي، الغرناطي، المتوفى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سنة: 741 هـ.

وهكذا استقصيْتُ ما في تفسيره من المرويات عنها، فوجدتها - بعد الجمع والتصنيف - تشتمل على: التوحيد، وعلوم القرآن، والقراءات، واللغة، والنحو، وأسباب النزول، والناسخ، والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والتفسير، والحديث، والفقه، وقضايا أنكرتها عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبعض أحوال عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأدعو في الختام إلى استنهاض الهمم، قصد استخراج ما في هذه التفسير المغربية من درر غالية، ومن كنوز نفيسة، ثمينة، قصد تجلية المجهود المغاري في إثراء التراث الإسلامي، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

- المصحف الشريف. طبعة وزارة الأوقاف المغربية.
- الإيتقان في علوم القرآن؛ للسيوطي. تحقيق أبي الفضل محمد إبراهيم، طبعة المشهد الحسيني بالقاهرة.
- الإجابة، لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة؛ للزركشي.
- أحكام القرآن؛ للإمام الشافعي، بتقديم محمد زاهد الكوثري. ط. دار الكتب العلمية- 1395هـ / 1975م.
- أحكام القرآن؛ للقاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق محمد علي البجاوي، ط1، الحلبة 1376هـ / 1957م.
- الإحكام في أصول الأحكام؛ لابن حزم، تعليق: أحمد شاكر. طبعة مأخوذة عن الطبعة 1/الصادرة سنة 1345هـ.
- أزهار الرياض، في أخبار عياض. طبعة لجنة التراث المغربية-الإمارتية. 1398هـ / 1978م.
- الاستيعاب، في معرفة الأصحاب؛ للحافظ ابن عبد البر، بهامش (الإصابة..) طبعة بالأوفست، عن طبعة مصر الأولى: 1328هـ.
- أسد الغابة، في معرفة الصحابة؛ لابن الأثير، طبعة دار الفكر، بيروت. (بدون تاريخ).
- أسماء الصحابة الرواة، وما لكل واحد من العدد؛ لابن حزم، تحقيق سيد كسروي، ط1. دار الكتب العلمية، بيروت: 1412هـ / 1992م.
- الإصابة في تمييز الصحابة؛ للحافظ ابن حجر، ط. بالأوفست، عن ط: السعادة الأولى بمصر: 1328هـ.
- أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين؛ لابن حزم. تحقيق: سيد كسروي. ط1 بيروت 1415هـ / 1995م.
- الأعلام؛ لخير الدين الزركلي، ط: 3.
- أعلام النساء؛ لعُمر رضا كحالة. ط: 3 لمؤسسة الرسالة. بيروت 1397هـ / 1977م.

- ✽ ألف سنة من الوفيات، في ثلاثة كتب؛ لابن قنفذ، والونشريسي، وابن القاضي. تحقيق محمد حجي. ط: الرباط 1396هـ / 1976م.
- ✽ البحر المحيط؛ لأبي حيان الغرناطي. ط: 2 لدار الفكر 1403هـ / 1983م.
- ✽ البداية، والنهاية؛ لابن كثير. طبعة دار الفكر، بيروت. 1402هـ / 1982م.
- ✽ البرهان في علوم القرآن؛ للزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. ط. الحلبيّة 1376هـ / 1957م.
- ✽ تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق د. سهيل زكار. ط: دار الفكر. بيروت 1414هـ / 1993م.
- ✽ تاريخ الصحابة الذين رُوي عنهم الأخبار؛ لابن حبان البُستي. تحقيق بُورَاق الضناوي. ط 1. دار الكتب العلمية، بيروت 1408هـ / 1988م.
- ✽ تأويل مشكل القرآن؛ لابن قتيبة، بشرح ونشر: السيد أحمد صقر. ط: 2 لدار التراث بالقاهرة 1393هـ / 1973م.
- ✽ التحرير والتنوير؛ لابن عاشور. ط: الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية، بدون تاريخ.
- ✽ تذكرة الحفاظ، للحافظ الذهبي. ط: دار إحياء التراث العربي 1374هـ.
- ✽ الترغيب والترهيب؛ للحافظ المنذري. ط: دار الفكر، بدون تاريخ.
- ✽ التسهيل لعلوم التنزيل؛ لابن جزي الكلبي. ط: 2 لدار الكتاب العربي، بيروت 1393هـ / 1973م.
- ✽ تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير. ط: 2، بيروت، 1389هـ / 1970م.
- ✽ تهذيب الأسماء واللغات؛ للحافظ النووي. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- ✽ تهذيب التهذيب؛ للحافظ ابن حجر. ط: دار صادر، بيروت، عن طبعة دائرة المعارف النظامية بالهند 1327هـ.
- ✽ التيسير؛ لأبي عمرو الداني، ط: 2 لدار الكتاب العربي، بيروت 1404هـ / 1984م.
- ✽ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ط: 2 بالأوفست، دار المعرفة. بيروت. بدون تاريخ.
- ✽ الجامع الصحيح؛ للإمام البخاري، ط: الحلبيّة، بدون تاريخ.
- ✽ الجامع الصحيح؛ للإمام مسلم، ط: دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- ✽ الجامع الصغير؛ للإمام السيوطي، ط: 4. دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

- ✽ الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي، ط. دار الكاتب العربي، بالقاهرة 1383هـ / 1967م (مصورة عن طبعة دار الكتب).
- ✽ حَجَّة في القراءات؛ لابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني. ط: 2 مؤسسة الرسالة. بيروت 1399هـ / 1979م.
- ✽ الحلية؛ لأبي نعيم الأصبهاني. ط: 3، دار الكتاب العربي، بيروت. 1400هـ / 1980م.
- ✽ حُطْبَة تفسير: «التسهيل»؛ لابن جزي= التسهيل.
- ✽ الدرر الكامنة، في أعيان المائة الثامنة؛ لابن حجر، طبعة: دار الجيل، بيروت، عن طبعة حيدرآباد الدكن بالهند.
- ✽ الدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ للإمام السيوطي. طبعة بيروت، بدون تاريخ.
- ✽ دلائل النبوة؛ للحافظ البيهقي. ط: 1. دار الكتب العلمية، بيروت: 1405هـ / 1985م.
- ✽ الديباج المذهب، في معرفة أعيان علماء المذهب؛ لابن فرحون. طبعة دار الكتب العلمية. بيروت، بدون تاريخ.
- ✽ سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، ط: 3 لمؤسسة الرسالة، بيروت. تحقيق شعيب الأرنؤوط. 1405هـ / 1985م.
- ✽ شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ لابن العماد الحنبلي. ط: بيروت 1399هـ / 1979م.
- ✽ الطبقات؛ لخليفة بن خياط، تحقيق د/ أكرم ضياء العمري. ط: 2 لدار طيبة. الرياض: 1402هـ / 1982م.
- ✽ الطبقات الكبرى؛ لابن سعد. طبعة دار صادر، بيروت. بدون تاريخ.
- ✽ طبقات الحفاظ؛ للسيوطي. تحقيق: علي مُحَمَّد عمر، ط: 1، مكتبة وهبة، بمصر. 1393هـ / 1973م.
- ✽ طبقات علماء الحديث؛ لابن عبد الهادي، تحقيق: أكرم البوشي. ط: 1، لمؤسسة الرسالة. بيروت: 1409هـ / 1989م.
- ✽ طبقات المفسرين؛ للدَّاودي. تحقيق علي محمد عمر. ط: 1 بمصر: 1392هـ / 1972م.
- ✽ غاية النهاية، في طبقات القراء؛ لابن الجَزَري، عُنِي بنشره: ج. برجستراسر. ط: 2 لدار الكتب العلمية. بيروت: 1400هـ / 1980م.
- ✽ فتح القدير، للشوكاني. الناشر: محفوظ العلي. بيروت (بدون تاريخ).

- ✽ فضائل القرآن، ومعالمه، وآدابه؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام. دراسة، وتحقيق: د/ أحمد الخياطي. ط: 1 لوزارة الأوقاف المغربية: 1415هـ / 1995م.
- ✽ الفقه على المذاهب الأربعة؛ لعبدالرحمن الجزيري. طبعة: دار الفكر / بيروت (بدون تاريخ).
- ✽ الفكر السامي، في تاريخ الفقه الإسلامي؛ لمحمد الحنجوي الثعالبي، تخريج الأحاديث، وتعليق: عبدالعزيز القارئ، نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة. ط: 1 / 1396هـ.
- ✽ القوانين الفقهية؛ لابن جُزَيٍّ. «طبعة جديدة مُنقَّحة». نسخة مُغفلة من مكان الطبع، وزمانه!.
- ✽ لُقْطُ الفرائد...؛ لابن القاضي، ضمن كتاب: «ألف سنة من الوفيات». تحقيق د/ محمد حجّي. ط: الرباط: 1396هـ / 1976م.
- ✽ تَجْمَعُ البيان، في تفسير القرآن، للطبرسي. طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ.
- ✽ تَجْمَعُ الزوائد، ومنبع الفوائد؛ لابن حجر الهيتمي، ط: 2 لدار الكتاب العربي، بيروت: 1967م.
- ✽ المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات...؛ لابن جُنِّي. تحقيق علي النجدي، و: د/ عبدالفتاح شلبي. ط: لجنة إحياء التراث الإسلامي / مصر: 1389هـ / 1969م.
- ✽ مرآة الجنان...؛ لليافعي اليمني. ط: 2 لمؤسسة الأعلمي، بيروت: 1390هـ / 1970م.
- ✽ المستدرك على الصحيحين؛ للحاكم. ط: بيروت، 1980م.
- ✽ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم؛ لمحمد فؤاد عبدالباقي. ط: دار ومطابع الشعب، مصر. (بدون تاريخ).
- ✽ المقنّع في معرفة رسم مصاحف الأمصار؛ لأبي عمرو الدّاني. ط: دمشق: 1359هـ / 1940م.
- ✽ نَثِيرُ الجُمَان، في شعر من نظمنا وإياه الزمان؛ لابن الأحمر الغرناطي. تحقيق: د/ محمد رضوان الدّاية. ط: 2 لمؤسسة الرسالة. بيروت: 1407هـ / 1987م.
- ✽ النجوم الزاهرة، في ملوك مصر والقاهرة؛ لابن تغري بردي. ط: وزارة الثقافة المصرية: 1383هـ / 1963م.

- ❁ نفع الطَّيِّب من غُصْن الأندلس الرَّطِيب؛ للمقري. ط: دار صادر، بيروت. سنة: 1388هـ / 1968م.
- ❁ نكت «الانتصار لنقل القرآن»؛ للباقلاني. و: «النكت» هي لأبي عبدالله الصابوني. تحقيق: د/ محمد زغلول سلام. نشر منشأة المعارف، بالأسكندرية: 1971م.
- ❁ النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير، تحقيق: الطناحي، والزَّاوي. الطبعة الحلبية: 1383هـ / 1963م.
- ❁ نيل الابتهاج، بتطريز الديباج؛ لأحمد بابا التنبكتي. ط: دار الكتب العلميَّة، بيروت. بدون تاريخ.
- ❁ وفيات الأعيان؛ لابن خَلِّكان، تحقيق: إحسان عباس. ط. دار صادر. بيروت 1970م.